صوم رمضان

أحكامه الفقهية والطبية - أهدافه نفحاته - وبيان ما علق به من أوهام

بقلم
محمود مهدي الإستانبولي

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

أشرف عليها وراجعها
علي حسن علي عبد الحميد

المكتبة الإسلامية
دار ابن حزم

الطبعة الرابعة
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

المكتبة الإسلامية
ص.ب (١١٣) الجبيهة، هاتف ٨٤٢٨٨٧
عمّان - الأردن

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

صوم رمضان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

بقلم: علي حسن علي عبدالحميد

إنَّ الحمدَ لِلَّه نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللَّهِ مِن شرور أنفسِنا ومِن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهدُ أن لا إلَهَ إلاّ اللَّهُ وحده لا شريكَ له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الصِّيامَ فريضةٌ من فـرائضِ الإسلام المهمّـة، وشعيرةٌ من شعـائر هـذا الدِّين الأساسيّة، به يعرفُ الإنسانُ المسلمُ حقيقةَ ذاتهِ، وصـدقَ عُبوديّتـهِ لخالقهِ ومولاه سُبحانه وتعالىٰ، وصفـاءَ أُخوَّتـهِ ومودَّتـهِ لإخوانـهِ المسلمين المُتَّقين.

فَبِهِ تَصْفو الأرواحُ، ويعلو الإيمانُ، ويزدادُ اليقين، ويتدرّجُ العبدُ في مدارج التقوىٰ، ويسلُك سُبُلَ الهداية واليقين.

ولقد أَلَّفَ أخونا الكبير المِفْضال الأستاذ محمود مهدي إستانبولي كتابَه اللطيفَ النافع: «صوم رمضان..»، مُبَيِّناً فيه الأحكام، ورادّاً فيه الأوهام، لينتفع بهِ عمومُ الأنام، والدُّعاةُ للإسلام.

ولقد طُبِعَ الكتابُ طبعتَه الأُولى قبل بضع سنوات، وَوَقَعت فيه أشياءُ مِمّا لا يخلو منها عَمَلُ البَشر وجهودُهم.

ثم إنَّ الأخَ المؤلِّفَ حفظه الله تكرَّم بإرسال الكتابِ إليَّ واضعاً ثقتَه فيَّ لِمُراجعتهِ والإشرافِ عليهِ وتصحيحهِ وتنقيحهِ، إلى غير ذلك مِنْ أُمور علميّة ستزيدُ إن شاء اللَّهُ ـ مِن قيمة الكتاب ومدىٰ الانتفاع به.

فاللَّهَ أسألُ أن يُوَفِّقني لأِكون عند موضع ثقتِهِ، وأن يكتبَ لمؤلِّفهِ وناشرهِ الأجرَ والثواب، إنه سبحانه سميع مجيب.

وصلى اللَّهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

وكتب
علي حسن علي عبدالحميد
الزرقاء ـ السبت
١٩/ ربيع الآخِر/١٤١٠ هـ
١٩٨٩/١١/١٨ م

مقــدّمــة

أخي المسلم . . .

في ظِلالِ التقوى، وأفياءِ الإيمان من شهر رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآنُ هدى للناس وبيّنات من الهُدى والفُرقان.

في هذا الجوِّ العَبِقِ بالذكريات والمُكْرَمات، وبهذا الموسم العظيم ونَفَحاته الخَيِّرَة، تُمارَسُ هذه العبادةُ الروحيةُ، فتتخلّص النفسُ من أثقال المادّة، وترتفعُ إلى صفوفِ الملائكةِ، وتتهيأ لك قوةُ إراديةُ، وهَدَأَةٌ نفسيّة، تستروِحُ فيها روحَك وتتشوّقُ إلى آفاقٍ أبعدَ من حُدودِ الحواسّ، وتترفّع بها على الضعف والوَهَم والحِرْصِ.

وإني إذ أُهَنِّئك فإنّما ذلك لما في قلبِك من إيمان بذلك الهُدى، وبما في نفسِك من عزمٍ وشوقٍ لاغتنام فُرصة مجيء هذا الشهر المبارك، للحصول على جَنّة عرضُها السمواتُ والأرضُ أُعدِّت للمتقين.

أخي المسلم . . .

إن شهرَ رمضانَ شهرُ الرحمة، شهرُ الطاعات، شهرُ العزائم، شهرُ الانطلاق من المادّة، ومن الشهوة، لِيُحَلِّق المسلمُ في دنيا المُثُلِ الرفيعةِ، والحياةِ الملائكيةِ، فيُعلن للملأ أنه لم يُخلق عَبَثاً، وليس هو بالحيوانِ يعيشُ ليأكُلَ ويسرحَ ويمرحَ . . بل خُلق للعبادةِ، فتسمو روحُه ويلتمسُ هَدْيَ القرآنِ، في وصل عبادة الصومِ هذه بسلوكهِ الاجتماعيِّ، فيتخرّج من

مدرسةِ رمضانَ بعد ثلاثين يوماً بروحٍ سامية نضالية، وإرادةٍ قوية مجاهدة وشعورٍ إنسانيّ فيّاض، ونفس متواضعة بعد جَبَروت، وحياة جديدة بعد مَلَل وسآمةٍ، وجسم قوي بعد نقاء من الزياداتِ الضارّةِ.

أخي المسلم . . .

إنّ صوم رمضان لونٌ من العلاج عجيبٌ وموسم سنويٌّ خطير يُحْدِثُ انقلاباً في حياة المؤمن، فيكونُ أرقَّ شعوراً وأرهفَ عاطفةً، وأحسنَ بذلاً، وأكثرَ اعتدالاً، فلا سَرَفَ ولا بُخْل، ولا شَطَط ولا كِبْر.

إنّ الصوم تدريبٌ عسكريٌّ على الجوع والعَطَش طوالَ ساعاتٍ في مختلفِ الفصولِ حتى إذا انقطع عنه الطعامُ والماءُ في إحدى المعارك، صَبَر ولم يُبَالِ.

وقد ذكر المُؤَرِّخون المعاصرون أنّ الجيشَ البريطانيَّ في حرب التحرير الأميركية تأخّر عنه الطعامُ مرة فاستسلم، ممّا كان سبباً في خسارةٍ لبريطانيا لا تُعَوّض!.

لهذا؛ ولأسباب إيجابيةٍ حُبِّبَ إلى المسلمِ الجهادُ والموتُ في سبيل الله.

وكان الخُبراء والقوّاد العسكريون يُعْجَبون بالجندي المسلم حتى قال الوزير الألماني بِسْمارك: أعطوني عشرة آلاف مسلم أفتح لكم بهم العالم.

وقد كان رمضانُ شهرَ جهادٍ في حياة الرسول، لا شهر راحة وَسَهَر ونوم:

ففي رمضانَ من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوةُ بدر، وتمّ فيها أولُ انتصار للإسلام.

وشَهِد رمضانُ من السنة الثالثة للهجرة تعبئةَ الرسول ﷺ في المدينة جيشاً لصدِّ عدوان المشركين الذين كانوا يستعدّون للانتقام لقتلاهم في غزوة بَدْر.

وفي السنة السابعة من الهجرة شهد رمضانُ سَرِيّةَ غالبِ بن عبدالله المؤلّفة من مئة وثلاثين مُسلماً لقتال بني عبدالله بن ثَعْلَبَة، وكانوا قد أعلنوا عداءَهم للمسلمين، فانتصر غالبٌ عليهم وَغَنِم كثيراً من الخيرات ساقَها إلى المدينة.

وفي رمضانَ من السنة الثامنة للهجرة تَمَّ فتحُ مكّة، وانتهى بفتحِها عهدُ الوثنيةِ في جزيرة العرب.

وفي رمضان من السنة التاسعةِ للهجرةِ كانت عودةُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك المُظَفَّرة، فَدَخَل صلى الله عليه وآله وسلم المدينةَ بكلّ تواضع، لم تُدهشه نشوةُ النصر مما أثار إعجابَ المؤرّخ (واشجنون إرافنج) فقال: على الرُّغْم من هذه الانتصاراتِ الباهرةِ التي حازها محمدٌ، إلّا أنّه دخل المدينة في مظاهرَ تنمُّ عن البساطة والتواضع التي اتَّصفت جميعُ تصرفاتِهِ بها.

وعند اقترابهِ من المدينة، خرج المسلمون لاستقباله، فوقف الرسول يُحَيِّيهم، وحمل الأطفالَ خلفَ جوادِه، وعاد الجيشُ مُحَمَّلاً بالغنائم التي فاز بها الجنودُ المسلمون.

وقد تحدّث الدكتور محمد حُسَين هَيْكَل عن نتائج غزوة تبوك فقال: (بغزوةِ تبوكَ تَمّت كلمةُ ربّك في شِبْهِ الجزيرة كلِّها، وَأَمِنَ محمدٌ كلَّ عاديةٍ، وأقبل سائرُ الوفود عليه يُقَدِّمون الطاعة ويعلنون لله الإسلام).

وفي رمضان من السنة التاسعة جاء وفدُ الطائف إلى المدينةِ يُعلن إسلامَه بعد حصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها شهوراً طويلةً.

أخي المسلم . . .

من أهمِّ ما أُريد أن أُنَبِّه إليه في هذه المقدمةِ أن تجعلَ من شهر رمضان موسماً سياسياً خَلِيقاً بالتفكيرِ الصحيحِ ، والنظر البعيدِ، والتدبيرِ السليمِ ، لِمُعَالَجَةِ مشكلاتِ العالم الإسلاميِّ في أنحاء الدنيا، فإن هناك أقلياتٍ تُضْطَهَد وتُذْبح ذبحَ النِّعاج، وهناك شعوبٌ متخلِّفةٌ على وشك الفناءِ بسبب الفقرِ، فإذا كان الإسلامُ ألهب شُعورَنا في شهر رمضانَ، فجديرٌ بنا أن نُسارِعَ لمدِّ يد العونِ لهؤلاء، فإنَّ من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس مِنْهُم[1].

ليتَ المسلمين يُقَدِّمون ثمنَ الوجبةِ التي يُوَفِّرونها في رمضان من أصلِ ثلاث وجبات في غيرِهِ، لمساعدة إخوانهم المُضْطهدين المُعَذّبين في أنحاء الدنيا، لِيُنْقِذُوهم من بَراثنِ المُستعمِرين واضطهادِ الظالمين.

وليتَهم يُقَدِّمون شيئاً من ذلك أيضاً إلى إخوانهم المسلمين الذين يُجاهدون في سبيل اللّهِ أعداء الله سُبحانه وتعالى.

إنّهم لو فعلوا ذلك لَهَابَهم الناسُ وَلَخَشِيَهم الظالمون، وَلَحَسِبُوا لمجيء رمضانَ ألفَ حسابٍ فأقلق مضاجعَهم، وأثار فيهم الرُّعْبَ، وَلَمَا تجاسروا على اضْطِهادِ مسلم، ولَكنْ! أين المسلمون اليومَ من أهدافِ رمضان؟ فقد جعل منه أكثرُهم موسماً للنوم ولإشباع البطونِ والتفنُّن في الصُّحون، وهم يُعَوِّضون البطن في المساء ما ضاع عليه في النهار! مما جعل خُصومَ الإسلامِ يسخرون منهم متهكّمين حتى قال قائلُهم مُعَرِّضاً

---

(١) وهذا كلامٌ صحيحُ المعنى من حيث أصول الإخوة الإسلامية، ومبادىء الشريعة، وقد وَرَدَ مثله منسوباً إلى النبيِّ ﷺ، ولا يصحّ عنه، راجع «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم: ٣٠٩).

بهم، وهو يَصِفُ غاندي الذي كان يُقْلِقُ مضاجِعَ بريطانيا بصومه:

لقــد صـام هنــديٌّ فَـرَوَّعَ دولـةً فهل ضارَ عِلْجاً صومُ مليونِ مسلمِ؟

وكلُّ ذلك نتيجةَ الجهلِ بتوجيهاتِ القرآنِ العـظيمِ، فإنّ المسلمين - أغلبَ المسلمين - تهاونوا في أمرِ هذا الكتـاب واتّخذوه وراءَ ظهـورِهم، وجعلوا منه بضاعةً للموتى وحُجُباً ووسيلةً للتنجيمِ حتى صحّ فيهم قـولُه تعالى: ﴿يا رَبِّ إنّ قَوْمي اتَّخَذُوا هٰذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[1]، وليس هجرهُ بعَدَمِ تلاوتهِ فَحَسب، بل بعدم فهمهِ وتدبُّرهِ والمسارعةِ لتنفيذ أوامرهِ، ممّا سبّب لَهم غَضَبَ اللّهِ تعالى وضياعَ مَجْدِهم، فلم يَأْبَه بهم الكُفّار، فضَعُفوا وهانوا!! فالرجوعَ الرّجوعَ إلى كتابِ الله سبحانه وسنّة رسولهِ ﷺ.

وكان الصحابيُّ إذا سمع الآياتِ من رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم يُسارع إلى تَدَبُّرِها وتحقيقِ أوامرها في نفسهِ وأهلهِ.

أذكُرُ مثـالاً على ذلك أنّه لَمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[2] الآيات، سـارع النساءُ إلى تنفيـذِ الأمر الإلٰهيِّ، قـالت عائشةُ رضي الله عنها: «يرحمُ اللّهُ النِّساءَ المهاجراتِ الأُوَل لمّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بخُمُرِهنّ على جُيُوبِهِنّ﴾ شَقَقْن مُرُطُهُنَّ فاخْتَمَرْنَ بها». رواه البُخاريُّ.

نسألُ اللّهَ سبحانه الهدايةَ والفهمَ واليقظة.

قـال الأستـاذ أمينُ الخُـوليُّ[3] مـا مُلَخَّصُـه: «.. وقـد سبق أن هــذا الصـومَ تدريبٌ وأنّ هذا الصوم مشقّةٌ، وأدركنا ذلك من نَظْمِ آياتِ الصومِ فيه: في

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٢) سورة النور: الآية ٣١.

(٣) في رسالته «من هدي القرآن في الصوم».

مفرداتِها، وتركيبِها، وسياقِها: واطْمَأْنَنَّا إلى معنى التدريبِ العسكريِّ للصوم، في دينٍ يدعو للعزّة، ويعملُ للقوةِ، حتى يتحقّق دخولُ المؤمنين كافّةً في السِّلم.

وهذا الصِّنْفُ من التدريب تقصدُ إليه الأُمَمُ، وتُجَدِّدُه كلَّ سنةٍ، فترةً معينةً، طوالَ السنة للقادرين على أعبائه، وَرَأَيْنا الشَّبَه الكامل، بين نظامِ الصومِ ونظامِ هذا التدريب، من إعفاء غير القادرين... وإذا ما اكْتَمل هذا المعنى الحيويُّ في الصوم كان عملاً مفيداً، فاسْمَحوا لي أن أسأَلكم عن حالِ هذا الصوم في حياتِنا: أحقّاً هو هذا التدريبُ، الذي تحدّث المتحدّثون الواعون عن حكمتهِ، في قوة الإيمانِ وضبط النفس، وتقوية الإرادة، وإحياء الشعور الإنسانيِّ بواجبنا، وبحقوقِ مَنْ حولنا، وما يتّصل بذلك من المعاني التي تُحَقِّقُها هذه الرياضة!.

وهل صحيحٌ أنّنا نصوم صوماً تدريبياً، يُحَقِّق هذه النتائجَ، أو يُحَقِّقُ شيئاً منها أو يُحَقِّق شيئاً يُشبهها أبعدَ الشَّبَهِ؟.

إنّي لأعرفُ، وإنّكم لَتَعْرِفون، كيف يتمُّ هذا الصومُ في حياتِنا، فإننا لنتلقّى رمضانَ بالجَشَع والنَّهَم، الذي يتّخذ جوعَ الصوم - كما كررتُ ذلك - وسيلةً لإهاجةِ شهوةِ البطنِ، وللتفنُّنِ في إشباعِها.

فهل رأيتُم، أيها السادةُ الواعون، حَمِيَّةً دينيةً تكونُ فرصةً لإثارة النَّهم الخطرِ إلى حَدّ تتدخّل فيه أجهزةُ الدولةِ الرسميةُ، المختلفةُ، ووسائلُ الدعايةِ العمليةُ.

وهل سمعتُم أنّ تدريباً رياضياً أو عسكرياً، يجعلُ نشاطَ النهارِ، ويجعلُ طوابيرَ التدريبِ نفسَها سبباً للاندفاعِ المتهوّر في مُتَع الليل ولذائذِهِ لأنّ التدريبَ يُقَوّي الجسم، ويُثير الحيوية! فكيف يكونُ ذلك في عبادةٍ

شَرَعَها دينٌ يقولُ كتابُه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[1]... ويقولُ رسولُه عليه السلام: «نحنُ قومٌ لا نأكُلُ حتى نجوعَ، وإذا أكلنا لا نشبعُ»[2]، وغير ذلك ممّا يقولُ العلمُ! أَمَا إنّكم يا مستمعي الصرحاءَ، لو رعيتُم معي حُرمةَ النصيحةِ في دينكم لَسَمَحْتُم لي أن أقولَ بعبارةٍ واضحةٍ:

إنّ صومَكم هذا تخريبٌ لا تدريب. وإنّ صومكم بحالتِهِ هذه، وغيرِها من التصرُّفات السيئةِ، والأفهامِ الخاطئةِ، لَيُسِيءُ إلى العاطفةِ الدينيةِ نفسِها قبلَ كُلِّ شيء، لأنه يطيلُ الألسنـةَ على التديُّنِ في وقتٍ تَغْمُرُ الدنيا فيه موجةُ إلحادٍ حاكمةٌ مسيطرةٌ، وإنّ صومَكم هذا، وفهمَكم للصوم لَيُسيء إلى التربيةِ الخُلُقيةِ، فَعَدَمُ شعورِكم بحسِّ القرآنِ نفسِهِ نحوَ الصوم، ونَظَر الدين ذاتِهِ لأسبابِ الإعفاءِ منه يدفعُ [النـاسَ] صغاراً وكباراً إلى كذبٍ عمليٍّ، ونفاقٍ فعليٍّ. إنَّ فهمَكم للصومِ لَيُسيءُ إلى الصحةِ إساءاتٍ كبيرةً بإيذاءِ المعدةِ التي هي بيتُ الداء[3].

ثم إنّ صومَكم هذا لَيُسيءُ إلى حياتِكم الاقتصاديةِ والعَمَليةِ فيجعلُ الصومَ سبباً رسمياً لتقليل العَمَل، واعتذاراً فعلياً للإهمالِ والخطأ، وسُوءِ المعاملةِ في مختلف الميادين.

وإنّ الصومَ في حياتنا ليس فيه شيءٌ من التدريب، بل هو فيه كثيرٌ وكثيرٌ من التخريب[4] ـ كمـا قلتُ ـ وما أحـوجَ هذه الحـالَ السيئة، التي

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٢) ليس هذا حديثاً، وقد صحّ عن الرسول ﷺ: «حَسْب ابن آدمَ لُقيمات يُقِمْـنَ صُلْبَه، وإن كا لا بُدَّ فاعلاً فَثُلْثٌ لطعامِهِ وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ، وثُلُثٌ لمائِهِ».

(٣) هذا من كلام الحارث بن كَلْدة، الطبيب العَربي، ولا يجوز أن يُنْسَب إلى النبيِّ ﷺ، كما قال الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٦١١).

(٤) ومّما يؤلِمُ، ويبعثُ في النفس الأسى والحَسْرَةَ، ويُثير البكاءَ والضحكَ معاً أنّ وزاراتِ التموين في أغلب العالم الإسلاميِّ تضجُّ وتخشى من قدومِ رمضانَ؛ حيث =

يتجاهلُها النِّفاقُ الاجتماعيُّ ويُخْفِيها الضعفُ الخُلُقي، ما أحوجَها إلى إصلاحٍ، له من القوةِ ما يُعالجُ هذا كلَّه، ويدفعُ هذا كلَّه، ويجعلُ الصومَ وسيلةً إصلاحيةً صحيّةً، اجتماعيةً، وخُلُقيةً، واقتصاديةً[1]، كما أُريدَ من الصوم، وكما أُريدَ بالصوم».

وإنّني أُقدِّمُ في هذه الرسالةِ من أحكام الصومِ وأهدافِهِ ونَفَحاتِهِ ورقائقهِ، ما يثيرُ في المؤمنين الوعيَ واليقظةَ فَيَخْرُجون من شهرِ رمضانَ، ومدرستهِ التي قَوَّتْ عزائمَهُم بفضل تدريبهِ، وبفضل مُدارَسةِ القرآن العظيمِ فيه وتَدَبُّرِهِ، حَرْباً على الظلم والظالمين، دُعاةً للخير، أنصاراً للمُصْلحين المُجَدِّدين، مُسارِعين للبذلِ والجهادِ في سبيل الله تعالى..

وقد يَسَّرْتُ للقارىء في هذه الرسالةِ دراسةَ الصومِ حسب القرآنِ والسنّةِ، فلا غموضَ ولا تعقيدَ دون أيِّ خلافٍ مذهبيٍّ يُشَوِّشُ الأذهانَ.

وهذه الدراسةُ تبعثُ فيهم الشوقَ للصيامِ والحماسةَ له وإني أتضرّع إلى الله تعالى وأبتهلُ إليه أن ينفعَنا جميعاً بهَدْيِ القرآنِ، وصومِ رمضانَ فيما يُصْلِحُ حالَنا في الدنيا ويُسْعِدُنا فيها وفي جنَّةِ الأبرار إنه سميعٌ مجيبٌ.

دمشق غرة ربيع الأول ١٤٠٤ هـ

محمود مهدي إستانبولي

= يزدادُ استعدادُها أضعافاً مضاعفةً لمتطلباتِ الشعوبِ الإسلامية في هذا الشهر، وكلُّ ذلك خلافاً لتوجيهاتِ القرآنِ والسنة...

(١) بل وسياسيةً وعسكريةً أيضاً، علاوةَ على الأصل، وهو ثوابه عند اللّهِ تعالى.

الصّوم . . والمعاني الإيجابيّة[1]

إن ما في الصوم من كبت وحرمان، ليس هدفه هذا الكبت والحرمان، وإنما الصوم وسيلة إلى غاية نبيلة. إنه التدريب على السيادة والقيادة، قيادة النفس وضبط زمامها، وكفِّها عن أهوائها ونزواتها، بل إنه التسامي بتلك القيادة إلى أعلى مراتبها. فلقد كنتَ في بحبوحة الإفطار إنما تحمي جوفك عن تناول السُّحت والخبيث، فأصبحت في حظيرة الصوم تفطمه حتى عن الحلال الطيب. ولقد كنت بالأمس تكفُّ لسانك عن الشتم والإيذاء، فأصبحت اليوم تصونه حتى عن رد الإساءة وعن إجابة التحريش والاستفزاز، فإن خاصمك أحد أو شاتمك، لم تزد على أن تقول: إني صائم، إني صائم. هكذا ملكت بالصوم زمامي شهوتك وغضبك. . وإنه لصبر يجر إلى صبر، ونصر يقود إلى نصر، فلئن كان الصوم قد علمك أن تصبر اليوم طائعاً مختاراً في وقت الأمن والرخاء، فأنت غداً أقدر على الصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس، ولئن كان الصوم قد علَّمك كيف تنتصر اليوم على نفسك، فلقد أصبحت به أجدر أن تنتصر غداً على عدوك. وتلك عاقبة التقوى، التي أراد الله أن يرشحك لها بالصيام.

إن هذا الهدف الذي صوّرناه وحدّدناه، إنما يقوم في منتصف الطريق، الذي رسمه الله للصائمين. وإن في نهاية هذا الطريق، هدفاً آخر، بل أهدافاً أخرى أهم وأعظم.

(١) من كتاب «الصوم تربية وجهاد» (ص ٤٥ ـ ٥٠) للدكتور محمد عبدالله دراز.

وفي الحق أنه لو كان كل ما يُطلب من الصائم، هو أن يكف نفسه عن شهواتها وانفعالاتها، ولم يكن أمامه عمل إيجابي جديد يسد به هذا الفراغ، إذاً لكانت تجربة الصوم انتقاصاً للطاقة العاملة من ناحية، دون إمداد لها من ناحية أخرى. وإذاً لكانت على حد تعبير العلماء «تخلية» «بلا تحلية» أو تجارة مأمونة الخسارة، ولكنها لا ربح فيها ولا غنيمة.

فهل شريعة الصوم في الإسلام هي تلك الصور العارية الجرداء؟ كلا إنها عبادة ذات شطرين، وليس شطرها الأول إلا تمهيداً وإعداداً لشطرها الثاني. إنها شجرة جذعها الصبر، ولكن الله لا يريد للصائم أن يترك هذا الجذع قاحلاً ماحلاً، بل يريد أن يُنبت على جوانبه أغصاناً من الشكر، وأن يتوِّج هامته بأوراق وثمار من الذكر والفكر. وإن من تأمل كلمة التقوى التي عبر بها القرآن الكريم في حكمة الصيام، يجدها منطوية على هذين الشطرين.

فهي في شطرها الأول كَفٌّ وانتهاء، وابتعاد واجتناب، لكنها في شطرها الثاني إقبال واقتراب، وإنشاء وبناء.

وإذاً فليس الشأن كل الشأن، في أن يغلق الصائم منافذ حسِّه، ويُسكت صوت الهوى في نفسه، فذلك إنما يمثل إغلاق أبواب النيران[1]، ولكن الشأن الأعظم في أن يكون إغلاق منافذ الحسِّ، فتحاً لمسالك الروح، وأن يكون إسكات صوت الهوى تمكيناً لكلمة الحق والهدى. فتلك هي مفاتيح أبواب الجنان[1]. ومن كان في شك من أن هذا الجانب الإيجابي، هو الهدف الأخير لشريعة الصوم، فليقرأ كتاب الله، يجد دلائله مثبوتة في تضاعيف آيات الصوم، وليطالع سنّة رسول الله، يجد معالمه مبسوطة في هديه النبوي قولاً وفعلاً. والعجيب في هذا التوجيه، أن

---

(١) والأصلُ الإيمانُ بفتح أبواب الجنان وغَلْق أبواب النيران على ظاهِرها.

الإسلام لم يتركه دعوة مرسلة، بل وضع له مناهج معينة، ورسم له خططاً مفصلة، ذلك أنه لما جعل شهر الصوم موسماً لانطلاق الروح من عقالها، فتح فيه للأرواح بابين تتدفق منهما: باباً إنسانياً، وباباً ربانياً. فأما انطلاق الروح في رمضان من الباب الإنساني، فذلك أنه أرشدنا إلى أن يكون زهدنا في الطعام والشراب ليس قبضاً وإمساكاً بالحفظ والادخار، بل بسطاً وسخاء بالبذل والإيثار: لا تسد أيها الصائم جوعتك، ولا تُنقع غلَّتك، ولكن أطعم الجائع واسق الظمآن. وهذا هو الصوم كما فهمه إمامنا الأعظم صلوات الله عليه. فقد كان أجود ما يكون في رمضان، حتى إنه كان فيه أجود من الريح المرسلة. وما زكاة الفطر في آخر رمضان، إلا الحلقة الختامية، والمظهر العلني الجماعي لهذه الحركات النفسية الفردية، التي تحولت فيها فضيلة الصبر، إلى فضيلة الشكر، اتباعاً لإرشاد القرآن الكريم حين يقول: **﴿وَلَعَلَّكُم تَشْكُرُون﴾**.

وأما انطلاق الروح في رمضان من الباب الربّاني، فذلك أن الإسلام فَتَحَ فيه للطاعةِ مسالكَ مسلوكةً، ورسم لها سبلاً ذللاً. تسبيح وتحميد، تكبير وتمجيد. **﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ على مَا هَدَاكُم﴾** تضرع وابتهال، ودعاء وسؤال: **﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَان﴾** ركوع وسجود، وقيام وتشمير ونهوض: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». وما الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، إلا نهاية الشوط في السير، إقبالاً على الله وانقطاعاً بالكلية إليه: **﴿وَلَا تُبَاشِرُوهنَّ وَأَنْتُم عَاكِفُونَ في المَسَاجِدِ﴾**.

ألا وإن ذروة الأمر وسنامه في هذا الجانب الرباني، إنما هو في مناجاة الله بكلامه، وفي مدارسة كتابه، كما كان يفعل الرسول المصطفى من البشر، والرسول المصطفى من الملائكة، إذ كانا يتدارسان القرآن في رمضان في كل عام، ولأمر ما نوّه الله بهذه الصلة الوثيقة بين رمضان وبين

القرآن، وجعلها أولى المناقب والمزايا التي اختص بها هذا الشهر المعظم. فقال جلَّت حكمته: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيه القُرْآنُ، هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقَان﴾ فكان ذلك إيماء لنا بأن نجعل حظ رمضان من القرآن أوفر الحظوظ.

وإذا كان من شأن الأمم الحية التي تعنى بتاريخها وأمجادها، أن تبتهج وتحتفل بذكرى مولد دستورها، فلم يكن بدعاً من الأمر أن يجعل الإسلام شعار رمضان هو الاحتفال بدستورهِ السماوي، الذي ختم الله به الشرائع، وأتم به مكارم الأخلاق.

ألا وإن أفضل أسلوب عرفه الناس في الاحتفال بعيد الدستور هو أن يجعل يوم ذكراه يوم تجديد لعهد الولاء له، وتأكيد للحرص عليه والاستمساك به.. فكذلك فليكن احتفالنا بشهر رمضان احتفالاً بالقرآن الذي أنزل فيه: تعبداً بتلاوته وسماعه، واستظهاراً لآياته، وتفقهاً في معانيه، وتأدباً بآدابه، واتباعاً لأحكامه. ألا ولتكن نصب أعيننا هذه الحقائق الأليمة، وهي أن قراء القرآن وحفاظه أصبحوا يقل عددهم عاماً بعد عام، وأن القائمين بأحكامه الواقفين عند حدوده، قد أصبحوا أقل من القليل، فالقرآنَ القرآنَ أيها الصائمون، ثم القرآنَ القرآنَ أيها المسلمون، وإياكم أن ينفد هذا الكنز من بين أيديكم، واعلموا أن الله ما كان ليعذبكم والقرآن فيكم ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُم تُرْحَمُون﴾.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وجمعنا وإياكم تحت راية القرآن، يوم تدعى كل أمة إلى كتابها، آمين.

١ ـ آياتُ الصِّيام

قال اللّهُ تعالى:

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيّاماً مَعْدودات، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً، أَوْ عَلَىٰ سَفرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَه: فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكينٍ. فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ له. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُون. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيه القُرْآنُ هُدَىٰ للنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَىٰ والفُرْقانِ. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ. وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ، وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ. وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

خواطر في آيات الصيام[١]:

* إن الصحة الجسمية هي التوافق والتكامل بين الوظائف الجسمية المختلفة مع القدرة على مواجهة الصعوبات المادية المحيطة بالإنسان، ومع الإحساس الإيجابي بالنشاط والقوة والحيوية. والغني بالتوافق والتكامل أن تكون الوظائف البدنية متعاونة متآزرة يشد بعضها بعضاً لصالح الجسد كله.

والصحة النفسية كذلك هي التوافق والتكامل بين الوظائف النفسية

(١) مجلّة «طبيبك». مقال للدكتور هيثم الخياط.

المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ على الإنسان عادة، ومع الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية.

وللصوم شأنه في دعم الصحة النفسية والصحة الجسمية على السواء.

* ولعل مما يلفت النظر في التعبير القرآني العزيز، إنه يستعمل صيغة واحدة مختصرة مفيدة للتعبير عن أمرين مهمين: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾... ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾!.

وذلك أمر يجدر بنا أن نتفكر فيه ونحن نعيش معركة من أقسى معاركنا وأشرسها... فلقد كان طبيعياً أن يفرض الصيام على الأمة التي يفرض عليها الجهاد، لأن الصيام استعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها إيثاراً لما عند الله، وهو برهان على صحة النفس وقوة الإرادة ومضاء العزيمة، وهو إذ يزيد القدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ على الإنسان يدعم الصحة النفسية أيما دعم.

* لست من القائلين بأن القرآن الكريم مجموعة من كتب العلوم، فالقرآن ليس كتاب طب ولا فلك ولا فيزياء ولا كيمياء... وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا، الذين يحاولون أن يلتمسوا فيه بعض هذه العلوم، كأنما ليعزروه ويوقروه ويؤيدوه... شأنهم في ذلك شأن بعض الطاعنين الذين يحاولون أن يلتمسوا بعض ما يرونه مخالفة لهذه العلوم. وكلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب العزيز ووظيفته ومجال عمله. فهذا القرآن قد جاء لما هو أكبر من هذه المعلومات الجزئية الصغيرة... إن موضوعه الإنسان... والإنسان من جملة مواهبه، إنه يستطيع أن يدرس هذه العلوم دونما حجر على فكره أو تقييد.

ولكن هذا لا يعني أن ننفي ما نكشفه من الحقائق الصحية في بعض

أوامر الله ونواهيه بل يعني ألا نفسر مفهوم بعض الآيات على فهمنا نحن، وهو عُرضة للتغير والتبدل والتطور.

هذا الأمر ينطبق تماماً على موضوع الصيام في رمضان، بل لقد أصبح من القول المكرر المعاد أن نتطرق إلى ما للصوم المعتدل ـ كالذي فرض في رمضان ـ من فائدة في صحة البدن. وحسبنا أنه يعين أيما عون في التوافق والتكامل بين وظائف البدن بتخليص البدن مما تراكم فيه على مَرِّ الأيام من فضلات أو رواسب. . . وإنه يزيد قدرة البدن على مواجهة الصعوبات المالية المحيطة بالإنسان، ويزيد إحساسه الإيجابي بالنشاط والقوة والحيوية، إذا اتُّبعت قواعده التي سنّها رسول الله ﷺ.

* ولقد سنّ الرسول عليه السلام السَّحور قبل كل شيء وحضّ عليه، والسحور أمر مهم يعين على حصول الفائدة الحقيقية المتوخاة من الصوم، وذلك أفضل بكثير من الاقتصار على وجبة واحدة كما تُثبت ذلك تجارب عدد من الدارسين.

ثم إن في السحور عوناً على النشاط في أثناء النهار ودرءاً لما قد يصيب الإنسان في نهاره من عنت أو إرهاق أو صداع أو تداع. والطب يشير بأن يكون طعام السحور غنياً بالبروتين، حتى لا ينخفض سكر الدم في أثناء الصوم فيحصل الصداع. ومن الطعام الغني بالبروتين اللحم والبيض واللبن والحليب.

* ولقد سنّ الرسول عليه السلام كذلك أن يفطر الإنسان على تمر وهو طعام حلو يقدم للبدن المتعطش للسكر من جراء الصيام دفعة على الحساب سريعة الامتصاص، ثم أن يصلي، ثم يتناول طعامه، وبذلك يكون قد خف منه غلواء الجوع فلا يلتهم طعامِه بِشَرَهٍ يعوض ما فاته في أثناء النهار ويفوته، بل يأكل باعتدال محققاً الجانب الصحي البدني الذي يكفله الصوم.

* وليس الإسلام متحمساً لمطلق الصوم ـ كما يظهر بعض المتعالمين من المسلمين[1] ـ ولكنه قد فرض نوعاً معيناً من الصيام في زمن معين ومدة معينة وشروط معينة. وإنه لخطأ كبير بل وخطر كبير أن ننادي بالصوم علاجاً لكل مرض صوماً مديداً يدوم أياماً عديدة عن كل شيء ما عدا الماء. بل كثيراً ما يكون في ذلك خطر على الحياة ومثل ذلك لا يجوز أن يوصف إلا برأي طبيب، ومن دعا إلى ذلك وهو غير طبيب ظناً منه أنه يقوم بدعاية لصيام الإسلام فقد أخطأ مرتين وكأني به ينطبق عليه حديث رسول الله ﷺ: «من تطبب ولم يعلم منه الطب فهو ضامن»[2]، فليتق الله هؤلاء الدعاة الطبيون!.

* ولقد نصَّ القرآن على أن للمريض والمسافر الإفطار في رمضان وهو لا يحدد ذلك بسفر معين ولا مرض معين بل إن ذلك من التيسير الذي يريد الله بعباده: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. وأنا أدعو إلى الالتزام بذلك ولو لم تتضح لنا الحكمة في السفر الخفيف والمرض الخفيف فالله أعلم بذلك. ولا نخافن من أن يحمل هذا المترخصين على الترخص فالإسلام لا يقود الناس إلى الطاعة بالسلاسل ولكنه يقودهم بالتقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ويدخل في حكم المريض المرضع والحبلى إذا خافتا على ولديهما.

* وفي آية الصيام يقول عزّ وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ والرفث مقدمات العملية الجنسية أو العملية ذاتها وكلاهما مقصود هنا وحلال. ولكن القرآن لا يدع هذا المعنى يمر دون لمسة منه حانية

---

(1) فقد وَرَد النهيُ عن صيام الدَّهر، كما سيأتي (ص ٤٩) من هذا الكتاب.

(2) حديث صحيح، رواه أبو داود والنسائي عن ابن عَمْرو، انظر «السلسلة الصحيحة» (٦٣٥).

رفيقة تضفي على العلاقة الزوجية نداوة وشفافية وتبتعد بها عن فجاجة المعنى الحيواني... فهو يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وأَنْتُم لِباسٌ لَهُنَّ﴾ وفي ذلك قاعدة من قواعد الصحة الجنسية، إذ «العنصر الأساسي في الزواج - كما يقول رودني - ليس الحب ولكن الروح الحقيقية في الزواج هي الرغبة في أن ينتمي كل من الزوجين إلى الآخر... إنه شيء أعمق من الحب على الرغم من أن للحب دوره الذي لا ينكر... إنه شعور بالارتباط الوثيق... بالاندماج... بانصهار شخصين في شخص واحد».

ومثل هذا المفهوم الصحي للجنس الذي توحي به الآية الكريمة يضع الأمور في نصابها في هذا المجال كذلك وينأى بها عن كل إفراط وتفريط.

* وبعد فهذا الصوم كهذا الدين يتّسم دائماً بالاعتدال ويدعو دائماً إلى الاعتدال: الاعتدال في المأكل والمشرب، والاعتدال في تضييق المأكل والمشرب، والاعتدال في ضبط النفس والاعتدال في مفهوم الجنس... أما المُنحرفون ذات اليمين أو ذات اليسار فإنما «ينأون عنه»، وقد وصف الله أتباعه بأنه جعلهم ﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾ ليكونوا ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وصدق الله العظيم.

٢ ـ أحاديثُ الصِّيامِ

١ ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخل رمضانُ فُتحت أبوابُ الجنّة»، وفي رواية: «فُتِّحت أبوابُ الجنة، وغُلِّقت أبوابُ جهنم وسُلسلت الشياطين». متفق عليه.

٢ ـ عن سَهْل بن سعد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «في الجنَّة ثمانية أبواب: منها بابٌ يُسَمّى الرَّيَّان لا يدخلُه إلا الصائمون». رواه البخاريُّ ومسلمٌ، والنَّسائي والتِّرمذي وزاد: «وَمَنْ دَخَلَهُ لم يَظْمأ أبداً»، وسندُ هذه الرواية حَسَنٌ.

٣ ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبهِ، ومن قامَ رَمَضان إيماناً واحتسَاباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه». متفق عليه.

٤ ـ وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أَجزي به، يُضاعف له الحسنةُ بعشر أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعفٍ، للصائمِ فرحتانِ: فرحةٌ عند فِطْرِهِ وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه. وَلَخُلُوف[1] فمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريح المسك، والصيامُ جُنّة[2]،

(١) لَخُلوف بالضمِّ: تغيُّر رائحةِ الفمِ.

(٢) الجُنّة: أي الوقاية، والمرادُ أنه حجابٌ وحِصْنٌ للصائم من المعاصي.

وإذا كان صومُ أحدِكم فلا يَرْفُث[1] ولا يصخَبْ[2]، فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَه، فلْيَقُل: إني صائمٌ». متفق عليه.

٥ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كان أولَ ليلة من شهر رمضان صُفِّدت[3] الشياطين، ومَرَدَةِ الجنّ، وغُلقت أبوابُ النـار، فلم يُفتح منها باب، ويُنادي منادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر، وللّهِ عُتَقاءُ من النار، وذلك كلَّ ليلة». رواه الترمذي وابنُ ماجه، وله شاهدٌ في «المسند» يتقوّى به.

٦ـ عن عبدالله بن عَمْرو: أنّ رسـول الله قال: «الصِّيـامُ والقُـرآنُ يَشْفَعـان للعبد، يقـولُ الصيامُ: أي ربِّ! إني منعتُـه الـطعـامَ والشهـواتِ بالنهار، فَشَفِّعْني فيه. ويقولُ القـرآن: مَنَعْتُهُ النـومَ بالليـلِ فَشَفِّعْني فيه، فَيَشفعان». رواه البيهقي في «شُعب الإيمان» ورواه أحمدُ والحاكمُ وصحّحه ووافقه الذهبيُّ، وهو كما قالا، كما قال محقّق «المِشكاة».

٧ـ وعن أبي هُريرة قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «مَنْ لم يَدَعْ قـولَ الزورِ والعملَ به، فليس لله حاجةٌ أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه». رواه البخاري.

٨ـ وعن أبي أُمامة قال: قلتُ: يا رسولَ الله مُرْني بعَمَـل. قال: «عليكَ بالصوم، فإنه لا عَدْلَ له». الحديث رواه النسائي، وابن خُزيمة في «صحيحه» والحاكم وصحّحه، وهو حديثٌ صحيح.

٩ـ وعن أبي سعيدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من عبدٍ يصومُ يوماً في سبيلِ الله إلّا باعَدَ اللَّهُ بذلك اليومِ وَجْهَه عن النارِ سبعين خريفاً». رواه البخاري ومسلمٌ والترمذي والنسائي.

---

(١) يرفُث: يتكلّم بقُبْحٍ. (٢) يصخَب: يرفع صَوتَه بهذيانٍ.

(٣) صُفّدت: أيّ قُيّدت بالأصفاد. ومَرَدَة الجنّ: جمع مارد، وهو المتجرّد للشر.

١٠ ــ وعن أبي هُريرة عن رسولِ الله ﷺ قال: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعـةُ إلى الجمعةِ، ورمضـانُ إلى رمضـانَ، مُكَفِّـرات مـا بينهنّ، إذا اجْتُنِبَت الكبائر».

٣ ـ القُرآن في رَمَضان

في رمضانَ حيثُ يتفرّغُ قلبُ المسلمِ من كثيرٍ من مشاغـلِ الحياة ويُصبح شبيهاً بالملائكة.

أَجَلْ، ففي رمضانَ مجالٌ واسعٌ لدراسة القرآن الكريم، وتدبُّرِ معانيه، والعزمِ على العمل بما جاء فيه في البيت والمدرسة وقاعة الحُكم والندوة النيابيّة وغير ذلك من مرافق الحياةِ، كلّ ذلك بـاستشعارِ الخشـوعِ خلالَ القراءةِ واستحضار الذِّهْن بأوامرِ اللَّهِ تعالى ونواهيهِ.

وفي هذا القُرآنِ سعادتُه ونجاحهُ ومجـدُه، فينبغي أن يكونَ غـذاءَه الروحيَّ يتدارسُه بنفسِه ومع إخوانهِ وأسرتهِ، ليس في رمضانَ فحسب، وإن كان في رمضان أوْجَبَ لما وَرَدَ بإسناد صحيح أنّ جبريل كان يَلْقَىٰ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم في كل ليلة من رمضان حتى ينسلخَ، يَعْرِضُ عليه الرسولُ القرآنَ كلَّه. رواه البخاري.

وقد كان الصحابَةُ في قراءتهم يتدبّرون معاني هذا القرآن ولا ينتقلون من آيةٍ إلى غيرها حتى يَعْمَلوا بها ويُطَبِّقوها في حياتهم.

وقد نهى الرسولُ ﷺ عن قراءةِ القرآن في أقلّ من ثلاثةِ أيامٍ حتى يفهمَ القارىءُ ما يقرأُ ويتدبّره.

وفي التراويحِ مناسبةٌ عظيمةٌ وفرصةٌ سانحةٌ لمدارسة القرآن، وكان الصحابةُ يقرؤون مئاتِ الآياتِ في هذه الصلاةِ كلَّ ليلة، ممّا كان له الأثرُ

الحميدُ في صَقْل نفوسِهم، وتقويةِ أجسامِهم فأثار فيهم رُوحَ القوةِ والطموحَ والإقدامَ.

إنّ الأمةَ التي تجعلُ القرآن دستورَها في الحياة هي أمةٌ قويةٌ، عزيزةٌ، وقد رأينا صدقَ ذلك في الأمة العربية، كيف أعزَّها اللَّهُ سبحانه ـ بعد ذُلٍّ ـ لما جعلت كتابه نبراسَها، وفتح لها الدنيا وسَوَّدها على العالمين.

وإنّ الأُمّة التي تتمرّد على هذا القرآن وتجعلُه وراءها ظِهْرِيّاً وتُعطّل أحكامه وتهجرُه بإهماله كدستورٍ وتتخذُه مزاميرَ للطربِ وإرسالِ الآهات، وتُصَيِّرُه بضاعةً للموتى ووسيلةً للتنجيم وعَمَل الحجب. . . هي أُمّةٌ محكوم عليها بالانهيار، كما انهارت بعضُ الشعوبِ الإسلاميةِ في العصور المتأخّرةِ يومَ تَركَتْ كتابَ الله تعالى وَجَعَلَتْ من قوانين الغربِ الحائرِ القَلِقِ مِنْهاجاً. . . ذلك الغربُ الذي سمّم عقولَ أبنائها عن طريقِ مدارسهِ الأجنبيةِ ودعاياتهِ المختلفة وتدخُّلهِ في المناهجِ المدرسيةِ الحكوميةِ بأسلوبٍ مباشرٍ أو غير مباشر، لِيَخْدَعنا بعدم صلاحِ الإسلامِ للحُكم بغيةِ إِخْمادِ قوانا الثائرة ضد الطغيان والاستعمار.

وقد صاح غلادسون في مجلس العُموم الإنجليزي قائلاً: «إنَّ العقبةَ الكؤود أمامَ استقرارِنا بمُستعمراتنا في بلاد الإسلام شيئان ولا بُدّ من القضاء عليهما: القُرآن والكَعْبة».

فما أَجْدَرَنا في هذا الوقتِ العصيبِ أن تنهج الأمةُ العربيةُ نَهْجَها في عصرِها الذهبيِّ فَتُقبل على كتاب الله إقبالَ المريضِ على الدواء الذي فيه شفاؤه، والظمآنِ على الماء العذب القُرَاح!.

ما أَجْدَرَنا في هذا العصر الخطير بإحداث إصلاحٍ جذريٍّ في جميع نواحي حياتنا التربويةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والخُلُقيةِ، وليس سوى القرآنِ

بقـادرٍ على إحداثِ هـذا الانقلابِ والإصـلاحِ العظيمِ الـذي تكفّـل لنـا اللّهُ فيهِ بالارتقاءِ الصحيحِ والنهوضِ السريعِ . . .

٤ ـ أدعيةٌ وابتهالاتٌ صحيحةٌ في رمضان[1]

١ ـ اللهمّ اجعل أوسعَ رزقك عَلَيَّ عند كِبَر سنّي، وانقطاع عمري.

٢ ـ اللهمّ اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بَصَري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً، ومِن تحتي نوراً، ومِن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً وَأَعْظِم لي نوراً.

٣ ـ اللهمّ احْفَظْنِي بالإسلام قائِماً، واحْفَظْنِي بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشْمِت بي عدواً ولا حاسداً، اللهمّ إني أسألُك من كُلِّ خير خزائنهُ بيدك، وأعوذُ بك من كُلِّ شر خزائنهُ بيدك.

٤ ـ اللهمّ اسْتُر عورتي، وآمِنْ رَوْعَتي، واقْضِ عني ديني.

٥ ـ اللهمّ أَصلِح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلِح لي آخرتي التي فيها معادي، واجْعَلِ الحياةَ زيادةً لي في كل خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كل شر.

٦ ـ اللهمّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنتَ أعلمُ به مني، اللهمّ اغفر لي خَطَئي وعَمْدي، وهَزْلي وجَدّي، وكلُّ ذلك عندي.

---

(١) وفي غيره أيضاً.

اللهمّ اغفر لي ما قدّمت وما أخّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ. أنت المقدّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

٧ ــ اللهمّ اغفر لي ذنبي وَوَسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي.

٨ ــ اللهمّ اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلّها، اللهمَّ أنعشني واجْبُرني، واهْدِني لصالح الأعمالِ والأخلاقِ، فإنـه لا يهدي لصـالحِها ولا يصرِفْ سَيِّئَها إلا أنت.

٩ ــ اللهمّ اقْسِم لنا من خشيتك ما يحولُ بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتِك ما تُبَلِّغُنا به جَنَّتَك، ومن اليقين ما تُهَوِّنُ علينا مصائبَ الدنيا، ومَتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقُوَّتِنا ما أحييتنا، واجْعَلْه الوارثَ مِنّا، واجعل ثأْرَنا على من ظَلَمنا، وانْصُرنا على من عادانا، ولا تجعل مُصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدُّنيا أكبرَ همِّنا، ولا مَبْلَغ علمنا، ولا تُسَلِّط علينا من لا يرحمنا.

١٠ ــ اللهمّ إنّي أسألُك الهدى والتقى، والعفاف والغِنى.

١١ ــ اللهمّ إني أسألُك من الخير كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذُ بك من الشرِّ كله عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، اللهمّ إني أسألُك من خير ما سألَك به عبدُك ونبيُّك، وأعوذُ بك من شرِّ ما استعاذ به عبدُك ونبيُّك، إني أسأَلُك الجنّة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذُ بك من النار، وما قرّب إليها من قول وعمل، وأسألك أن تجعلَ كُلَّ قضاء قضيتَه لي خيراً.

١٢ ــ اللهمّ إني أعوذُ برضاك من سَخَطِك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذُ بك منك لا أُحْصي ثناء عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك.

١٣ ــ اللهمّ إني أعوذُ بك من البَرَص، والجنون والجُذام، ومن سيِّىء الأسقام.

١٤ ـ اللهمّ إني أعوذُ بك من التردِّي والهدم، والغَرَق، والحَرْق، وأعوذ بك أن يتخبّطني الشيطانُ عند الموت وأعوذُ بك أن أموتَ في سبيلك مُدْبِراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً.

١٥ ـ اللهمّ أنت ربي[1]، لا إله إلا أنت خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعت، أبوءُ[2] لك بنعمتِك عَلَيَّ[3]، وأبوءُ بذنبي، فاغْفِرْ لي، فإنّه لا يغفرُ الذنوبَ إلاّ أنت، أعوذُ بك من شر ما صنعت. رواه البُخاري.

---

(١) عن النبي ﷺ قال: «سيدُ الاستغفار: اللهم أنت ربِّي.. إذا قال المسلم ذلك حين يُمسي، فمات دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال ذلك حين يُصبح، فمات من يومِهِ دخل الجنة».

وأين هذه الفضائلُ العظيمةُ لهذا الاستغفار، من أدعية الاستغفار التي وضعها بعضُ الشيوخ ليحاربوا (سيد الاستغفار)؟.

(٢) أبوء: أُقرّ وأعترف.

(٣) ذكرتُ فيما سبق بعضَ الأدعية الصحيحة عن النبي ﷺ آملاً الإكثار منها وبخاصة في رمضان، وقت السَّحَر حيث تتأكد الإجابَة.

والحذرَ الحذرَ من الأدعية التي وضعها المتأخّرون لمنافسة أدعية القرآن وأدعية النبيِّ ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، فهي على الرغم من هزالتها يشتملُ كثيرٌ منها على الكفر والعياذ بالله كدعاء ابن مشيش مشيراً إلى عقيدته الكافرةِ في وحدة الوجود: (اللهم انشلني من أوحال التوحيد!! وألقني في بحار الوحدة...). وأذكر أن أحد أتباع الطريقة الشاذلية قرأ هذا الدعاء عَلَيَّ، فقلتُ له: إنه يشتمل على الكفر وعلى وحدة الوجود واحتقار التوحيد الذي جاء به النبيّون ووَصَمَه بأنه وَحْلٌ.. وبعد قليل من التأمل تركه بعدما بقي يتلوه ما يقرب من أربعين سنة، فسبحان الهادي.

ولمعرفة جوامع أدعية النبيِّ ﷺ الصحيحة يُراجع كتاب «مهذّب عمل اليوم والليلة» للأخ علي حسن علي عبدالحميد ـ نشر المكتبة الإسلامية ـ عمّان.

٥ ـ بماذا تثبت رؤيةُ الهلال؟

تَثْبُتُ رؤيةُ هلال شهر رمضان بشهادة شاهدٍ عدلٍ أو إكمال عدة شعبانَ ثلاثين يوماً، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تراءَى الناسُ الهلالَ فأخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي رأيتُه فصامَ، وأمرَ الناسَ بصيامِه». رواه أبو داود والحاكمُ وابن حِبّان وصحَّحاه.

وكذلك يثبتُ هلالُ شوّال بشاهدٍ واحدٍ عدلٍ، ولا حُجّة للقائلين بوجوب شاهِدَين لإثباته، وعن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «صُوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيتِه، فإنْ غُمّ عليكم فأكملوا عِدَّة شعبان ثلاثين يوماً». رواه البخاري ومسلم.

وإذا رأى رجلٌ هلالَ رمضان وجب على المسلمين جميعاً أن يصوموا لعمومِ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «صُوموا لرؤيتهِ وأفطِروا لرؤيته» ومثلُ ذلك في رؤية هلال شوال.

٦ ـ لا عِبْرَةَ باختلافِ المطالعِ

ذهب أغلبُ الأئمّة إلى أنّه لا عبرةَ باختلاف المطالع، فمتى رأى الهلالَ أهلُ بلدٍ، وجب الصومُ على جميع البلاد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «صوموا لرؤيتهِ وأفطروا لرؤيتهِ» وهو خطابٌ عامٌّ للأُمّةِ جمعاء فمن رآه منهم في أيِّ مكان، كان ذلك رؤيةً لهم جميعاً.

وذهبت الشافعيةُ إلى أنّه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتُهم ولا يلزمُهم رؤيةُ غيرهم محتجّين بما رواه كُرَيب قال: قدِمتُ الشامَ واستهلّ علي هلالُ رمضان، وأنا بالشام، فرأيتُ الهلالَ ليلة الجمعة، ثم قدمتُ المدينة في آخر الشهر، فسألني ابنُ عباس ثم ذكر الهلالَ فقال: متى رأيتمُ الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلةَ الجمعةِ فقال: أنتَ رأيتَه؟ فقلتُ: نعم، ورآه الناسُ وصاموا وصام معاويةُ. فقال: ولكنّا رأيناه ليلة السبتِ، فلا نزالُ نصومُ حتى نُكْمِلَ ثلاثين أو نراه. فقلتُ: ألا تكتفي برؤيةِ معاوية وصيامهِ؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. رواه أحمد ومسلم والترمذي.

وليس في هذا الحديث حُجَّةٌ للقائلين بأن لكلّ أهل بلد رؤيتَهم، ولا يلزمُهم رؤيةُ غيرهم، فهو يُحْمَلُ على أن أهل المدينة لم يَبْلُغْهم رؤيتهُ من أهل الشامِ فصاموا برؤيتِهم ويُفطرون برؤيتهم.

قال العلاَّمة صِدِّيق حسن خان في كتابه «الروضة الندية» (١/٢٢٥):

«وهذا الاستدلالُ من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غيرُ صحيحٍ لأنه

لم يُصَـرِّح ابنُ عبـاس بـأنّ النبيّ ﷺ أمـرهم بـأن لا يعملوا بـرؤيـةِ غيـرهم من أهل الأقطار، بل أراد ابنُ عباس أنه أَمَرَهم بإكمال الثلاثين أو يرونـه، ظَنّاً منـه أنّ المراد بالرؤية أهلُ المحلّ، وهذا خطأٌ في الاستدلال أوقعَ الناسَ في الخَبْط والخَلْط حتى تفرّقوا في ذلك على ثمانية مذاهب، وقد أوضح المـاتنُ[1] المقـالَ في الرسـالة التي سمّـاهـا «إطـلاعُ أربـاب الكمـال على مـا في رسالة الجَلال في الهلال من الاستدلال»، قال في «المُسوّى»: لا خلافَ في أن رؤيةَ بعض أهل البلد موجبةٌ على الباقين».

وقال الإمام الشوكاني في «نيـل الأوطار» (٤/٢٦٠) مـا خلاصتـه: «واعلم أنّ الحجّة إنما هي في المرفوع من رواية ابن عباس لا في اجتهادِهِ الذي فهم منه الناسُ، والمشارُ إليه بقوله: «هكذا أمرنا رسول الله ﷺ» هو قوله، فلا نزالُ نصوم حتى نكمل ثلاثين، والأمرُ الكائنُ من رسول الله ﷺ هو ما أخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تُفطروا حتى تروه، فإنْ غُمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»؛ وهذا لا يختصّ بأهل ناحية على جهة الانفراد، بـل هو خـطابٌ لكلّ من يصلُحُ لـه من المسلمين، فالاستدلالُ به على لزوم رؤية أهل بلد لغيرهم من أهل البلاد أظهرُ من الاستدلال به على عدم اللزوم، لأنّه إذا رآه أهلُ بلد، فقد رآه المسلمون، فيلزمُ غيرَهم ما لزمهم».

وختم الإمامُ الشوكانيُّ رحمه الله تعالى كلامَه بقوله: «والذي ينبغي اعتمادُه هو ما ذهب إليه المالكيةُ وجماعةٌ من الزيديـةِ، واختاره المهـدي منهم وحكاه القُرطبي عن شيوخهِ إنه إذا رآه أهلُ بلد لزم أهلَ البلادِ كلِّها، وكذلك قال الأحنافُ والحنابلةُ».

---

(١) وهو الإمام الشوكاني صاحب متن «الدرر البهية».

ممّا سبق ندرك أنه لا عبرةَ باختلاف المطالع فمتى رأى أهلُ بلد الهلال وَجَبَ الصوم على جميع المسلمين في جميع البلاد.

وما أحسنَ ما قاله الدكتور عبدالوهاب عَزّام في كتابه «النَّفحات»:

«إنَّ الإسلامَ عمادُهُ التوحيدُ، توحيدُ الله تعالى وتوحيدُ الأُمم في دعوى الإسلام، وتوحيد المسلمين، فمن قصد إلى الخلاف بين المسلمين، فقد أصاب الإسلامَ في قواعِده وشاقَّه في أُصولِهِ...

ما هذا يا أُمَّة الأُخوّة؟ ما هذا أيها المسلمون؟.

إنّي لأقولُ مخلصاً: إنّ ترك الصيام وهو فريضة، أهونُ عند الله[1] من اختلاف المسلمين في توقيتهِ، إن كان هذا الخلافُ كراهيةَ الوفاق بين الأُمّة الواحدة، وحُبّاً للتفريق بين جماعة إلى توحيد الأمم داعية.

لقد أصاب المسلمين ما أصابهم ولا تزالُ القارعاتُ تصيبُهم أو تحلّ قريباً من دارهم، وهم على كثرة النُّذُر غافلون، وعلى توالي القارعات سادِرون وإنّهم لا يُفيقون ولا يَرْعوون، ولكنهم في خلافهم ماضون..

نسألهُ سبحانه أن يُلهِمَهم الصوابَ والوحدةَ».

---

(١) وهذا منه رحمه الله تعظيمٌ لخطر هذا التفرّق، وليس تهويناً للفطر في رمضان.

٧ ــ أركــان الصــوم[١]

أ ــ للصيام ركنان تتألّف منهما حقيقتُه:

١ ــ الإمساك عن المُفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

لقول الله تعالى: ﴿**فالآنَ باشِرُوهنَّ وابْتَغوا ما كَتَبَ اللَّهُ لكم وكُلُوا واشْرَبوا حتى يتبيَّنَ لكُم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ثم أتِمُّوا الصيامَ إلى الليلِ**﴾[٢].

والمرادُ بالخيطِ الأبيضِ، والخيطِ الأسودِ بياضُ النهار وسوادُ الليل.

لِمَا رواه البخاريُّ ومسلمٌ: أن عديَّ بن حاتم قال: لمّا نَزَلَتْ: ﴿**حَتّى يتبيَّنَ لكُمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ**﴾ عمدتُ إلى عقالٍ أسودَ، وعقالٍ أبيضَ، فجعلتُهم تحتَ وسادتي، فجعلت أنظرُ في الليل، فلا يَسْتَبِينُ لي، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فذكرتُ له ذلك! فقال: «**إنما سوادُ الليل، وبياضُ النهار**».

٢ ــ النية: لقول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصينَ له الدِّين**﴾[٣]. وقوله ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنيّات، وإنّما لكلِّ امرىءٍ ما نوى». متّفق عليه.

---

(١) هذا البحث منقولٌ عن كتاب «فقه السنة» للأخ الفاضل الشيخ سيّد سابق باختصار وتصرُّف.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٣) سورة البيّنة: الآية ٥.

ولا بد أن تكونَ قبلَ الفجر، من كلِ ليلةٍ من ليالي شهر رمضان، لحديث حَفْصَةَ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «من لم يُجْمِع[1] الصيامَ قبل الفجر، فلا صيام له». رواه أحمد وأصحاب «السُّنن». وصحّحه ابن خُزيمة، وابنُ حِبّان.

وتصحّ في أي جزء من أجزاء الليل، ولا يُشْتَرَط التلفُّظ[2] بها فإنها عملٌ قلبيٌّ، لا دخلَ لِلّسان فيه، فإنّ حقيقتَها القصدُ إلى الفعل امتثالاً لأمر الله تعالى، وطلباً لوجهه الكريم.

فمن تسحّر بالليل، قاصداً الصيام، تقرُّباً إلى الله بهذا الإمساك، فهو ناوٍ.

ومن عَزَم على الكفِّ عن المفطرات، أثناءَ النهار، مخلصاً لله، فهو ناوٍ كذلك وإن لم يتسحَّر.

بخلاف نية صيام التطوّع فإنها تُجزىء من النهار، إن لم يكن قد طَعِمَ:

قالت عائشةُ: دَخَلَ عَلَيَّ النبيُّ ﷺ ذاتَ يوم فقال لي: «هل عندكم شيء؟» قلنا: لا. قال: «فإنّي صائم». رواه مسلم، وأبو داود.

ب ـ على من يجبُ الصيام؟

أجمع العلماء: على أنه يجبُ الصيام على المسلمِ العاقلِ البالغِ، الصحيحِ المقيمِ، ويجبُ أن تكونَ المرأةُ طاهرةً من الحيض، والنفاس.

---

(١) «يُجْمِع» من الإجماع، وهو إحكامُ النية والعزيمة.

(٢) بل التلفظُ بالنيةِ في الوضوء والصلاة والصوم وغيرها بدعةٌ منكرةٌ.

ج ـ صيام الصبيّ:

والصبيُّ ـ وإن كان الصيامُ غيرَ واجبٍ عليه ـ إلا أنه ينبغي لوليٍّ أمره أن يأمرَه به، ليعتادَه من الصِّغَر، ما دام مستطيعاً له، وقادراً عليه.

فعن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ قالت: أرسلَ رسولُ الله ﷺ صبيحةَ عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان أصبحَ صائماً فَلْيُتِمَّ صومَه، ومن كان أصبحَ مفطراً فليصم بقيةَ يومِهِ، فكنّا نصومُه بعد ذلك ونُصَوِّمُ صبياننا الصغار منهم، ونذهبَ إلى المسجد فنجعلَ لهم اللُّعْبَة من العِهْن[1] فإذا بكى أحدُهم من الطعام أعطيناه إياه، حتى يكونَ عند الإفطار. رواه البخاري ومسلم.

متى يصومُ الصغيرُ؟[2]:

إذا نظرنا للصيام بمعناه المفهوم لدى الكبار من حيث كبح جماح النفس عن الأكل والشرب، فإن ذلك لا يتناسب مع الطفل الصغير. . ابتداء من فترة الرضاعة وحتى سن العاشرة على الأقل، فهو في حاجة خلال هذه الفترة إلى مواد غذائية بِنِسَبٍ معينة، حتى تلاحق نمو جسمه السريع وجهازه العصبي وبقية أجزاء جسمه. لذلك يمكن تعويد الصغير ابتداء من سن العاشرة على الصيام على فترات متفاوتة، وذلك لمعرفة مدى تحمل جسمه الغض لذلك، حتى لا يصيب صحتَه ضررٌ. . .

ويمكن أن يتم ذلك بالبدء في الصيام ساعات من النهار، تزداد تدريجياً كل يوم حتى يمكن للصغير أن يتعود على هذا النوع من الجهاد

---

(١) العِهْن: الصوف.

(٢) مجّلة «طبيبك الخاص»، مقال بقلم الدكتور صلاح شهيب.

الجسماني والنفسي. وبالطبع فإن الطفل يحب التقليد، وكم من آباء شكوا من أن أطفالهم يعانون من هزال أجسامهم، ومع ذلك يصرون على الصيام مقلدين الكبار، فما هو الحل عندئذ؟ هذا هو السؤال الذي يردده بعض الآباء. والحقيقة أنه طالما لا يوجد مرض يشكو منه الطفل، فلا غبار من تشجيعه على الصيام بشرط إيقاظه في السحور، وتعويده على رؤية أفراد الأسرة وهم يمارسون هذا الفرض الديني...

لكنّ هناك بالطبع أمراضاً مزمنة لدى كثير من الأطفال لا تمنع من قيامهم بالصيام، طالما إن كلا منهم يعالج بانتظام، وتحت الإشراف الطبي الدائم. هذه الأمراض هي: حالات الروماتزم غير التهيجية التي تعالج بحقن البنسلين طويل المفعول، وحالات الربو الشعبي المزمن التي تعالج بأقراص مهدئة، وحالات الكلى المزمنة، والاضطرابات المعدية المزمنة التي تستفيد جداً من فترة الصيام على شرط أن يكون الطعام في الإفطار والسحور مناسباً من حيث الكمية والنوع للأمعاء مع عدم التقيد بنوعية الأكل الذي يقدم لبقية أفراد الأسرة.

د ـ من يُرَخَّص لهم في الفطر، وتجبُ عليهم الفدية:

يُرَخّص الفطرُ للشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والمريض الذي لا يُرجى برؤُهُ.

هؤلاء جميعاً يُرَخَّص لهم في الفطر، إذا كان الصيامُ يُجْهِدُهم. ويشقُّ عليهم مشقةً شديدةً في جميع فصول السنة.

وعليهم أن يُطْعِموا عن كُلِّ يوم مسكيناً.

قال ابنُ عباس: «رخّص للشيخ الكبير أن يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكيناً ولا قضاءَ عليه». رواه الدَّارَقُطني والحاكم وصححاه.

وروى البُخاريُّ عن عطاء: أنـه سمع ابنَ عبـاس رضي الله عنهما يقرأ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقونَه فِدْيَةٌ طعامُ مسكينٍ﴾[1] قال ابن عباس: ليست بمنسوخةٍ، هي للشيخِ الكبيرِ، والمرأةِ الكبيرةِ، لا يستطيعان أن يصوما، فَيُطعمان[2] مكانَ كلِّ يوم مسكيناً.

والمريضُ الذي لا يُرجى برؤه، ويُجْهِدُهُ الصومُ، مثل الشيخ الكبير، ولا فرق.

والحُبلى، والمرضعُ ـ إذا خافتا على أنفسِهما أو أولادِهما[3] ـ أفطرتا؛ وعليهما الفدية، ولا قضاء عليهما، عند ابن عمر، وابن عباس كل ذلك بخلاف المذاهب الأربعة التي تشترط القضاء عليهما.

روى أبو داود عن عِكْرِمة، أنّ ابن عباس قال ـ في قوله تعالى ـ: ﴿وَعَلَىٰ الذين يُطِيقونَه﴾ كانت رخصةً للشيخ الكبيـر والمرأةِ الكبيرة، وهما يُطيقان الصيـام، أن يُفطـرا، ويُطعمـا مكـان كل يـوم مسكيناً، والحُبلى، والمـرضع ـ إذا خـافتا (يعني على أولادهمـا) ـ أفطرتـا، وأطعمتا[4]. رواه البزار.

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(٢) مذهب مالك وابن حَزْم أنه لا قضاء ولا فدية.

(٣) معرفة ذلك بالتَّجْرِبة أو بإخبار الطبيب الثقة أو بغَلَبة الظن.

(٤) ما أروعَ وأعدَل هذا الحُكْمَ، وقد كان الجهلُ به سبباً في الإضرار بكثير من الأمّهات والرُّضَّع، فإن الأم سواءٌ أكانت مرضعةً أم حُبلى، إذا علمتْ أنّه لا بُدَّ لها من القضاء إذا هي أفطرت في رمضان، لأنها إن استمرت في صومها فيُصيبها أو يصيب طفلها الضررُ. فإنّها ستجدُ حَرَجاً في ذلك قد يُؤدِّيها حينئذ إلى الصِّيام في رمضان، ولو كانت تعلمُ أن هذا الصيام سيكون له آثار سلبية على نفسها أو جنينها وولَدِها.

ولا أدري كيف تقضي المرأة المتزوجةُ وهي غالباً ما تكون حاملاً ثم مرضعاً، ثم حاملاً ثم مرضعاً وهكذا سنين كثيرة بصورة متواصلة لا فاصل بينها.

والشارع الحكيم أباح للمريض والمسافر الفِطْرَ في رمضان، وكذلك أباح للمرضع والحامل إلا أنه أمر المريض والمسافر بالقضاء ولم يأمر الحامل والمرضع. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، ففي الحديثِ عن مالك الكَعْبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عن

. . . .

المسافر شطر الصلاة، والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى». رواه أبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وإسناده جيد كما قال محقق «المشكاة».

وقال الإمامُ ابنُ كثير في «تفسيره» بعد ما تكلّم على الشيخ الكبير «بأنه يفطر ويُفدي إذا كان مستطيعاً ولا يقضي، ومما يلحق بهذا المعنى أي بالشيخ الكبير والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما وولدهما أي تفطران ولا تقضيان وعليهما الفدية إذا استطاعتا».

ولا شكّ أن حديث ابن عمر وحديث ابن عباس السابقين الموقوفين الصحيحين لهما حكم المرفوع، لأنه لا يمكن أن يقولاه من عند أنفسهما، وهذا الحديثُ بخلاف رأي جمهور أئمة المذاهب رحمهم الله تعالى، ولا ضير في ذلك فقد قالوا جميعاً: «إذا صح الحديثُ فهو مذهبي»، وقال الإمام الشافعيُّ: «لقد أجمع المسلمون على أنّ من استبان له سنةٌ عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يَدَعَها لقول أحدٍ».

وما أعظمَ ما قال الشَّعراني في «الميزان» (٢٦/١): «فإن قلت: فما أصنعُ بالأحاديث التي صحّت بعد موت إمامي، ولم يأخذ بها؟ فالجواب الذي ينبغي لك: أن تعمل بها، فإن إمامك لو ظفر بها وصحت عنده لكان أمرك بها، فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة!! ومن فعل ذلك فقد حاز الخير بكلتا يديه. ومن قال: لا أعمل بحديث إلا إذا أخذ به إمامي، فاته خيرٌ كثيرٌ كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب. وكان الأولى لهم العملَ بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً لوصية الأئمة!! فإن اعتقدنا فيهم أنهم لو عاشوا وظفروا بتلك الأحاديث التي صحّت بعدهم لأخذوا بها وعملوا بما فيها، وتركوا كل قياس كانوا قاسوه، وكل قول كانوا قالوه».

وقال الشعراني أيضاً في المصدر السابق نفسه: «. . . فإن الحفاظ ـ أي: رجالُ الحديث وعلماؤه ـ كانوا قد رحلوا في طلب الأحاديث وجمعها في عصرهم ـ وكان ذلك بعد الأئمة ـ من المدائن والقرى ودونوها، فجاوبت أحاديث الشريعة بعضها بعضاً، فبهذا كان سبب كثرة القياس في مذهب أبي حنيفة، وقلته في مذاهب غيره».

ولعل بعضَهم يقول: إن هذا قولٌ للصاحبيِّ ليس له هنا قوةُ المرفوع، فأرد عليه بما جاء في كتاب «الهداية»: قيل لأبي حنيفة رحمه الله تعالى:

إذا قلتُ قولاً، وكان قول الصحابي يخالفه. فقال أبو حنيفة: «اتركوا قولي لقول الصحابي!!».

كل ذلك مع العلم بأن فتوى ابن عباس وابن عمر لها حكمُ المرفوع كما قلنا. والله أعلم.

وزاد في آخرهِ: كان ابنُ عباس يقول لِأُمِّ وَلَدٍ له حُبلى: (أنت بمنزلة الذي لا يُطيقه، فعليك الفداءُ، ولا قضاء عليك). وصحّح الدارقطنيُّ إسنادَه.

وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال: تُفطر، وتُطعم مكانَ كلِّ يوم مسكيناً مُدّاً[1] من حنطة، رواه مالك، والبيهقي.

وفي الحديث: «إن اللَّهَ وَضَعَ عن المسافرِ الصومَ وشطرَ الصلاةِ، وعن الحُبلى والمرضعِ الصومَ»، وقد سَبَق.

ويُباح للمريض الذي يرجى برؤه، والمسافر، ويجب عليهما القضاء.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وروى أحمدُ، وأبو داود، والبيهقيُّ، بسند صحيح، من حديث مُعاذٍ، قال: إنّ الله تعالى فَرَضَ على النبيِّ ﷺ الصيامَ، فأنزل: ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ إلى قولِهِ: ﴿وَعَلىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَه فِدْيَةٌ طعامُ مِسكينٍ﴾ فكان من شاء صام، ومن شاءَ أطعم مسكيناً، فأجزأ ذلك عنه.

ثم إنَّ الله تعالى أنزل الآية الأخرى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ القُرْآنُ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فأثبت صيامَه على المقيم الصحيح، ورخّص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعامَ للكبيرِ الذي لا يستطيع الصيام.

---

(١) «المد» ربع قدح من قمح.

والمرضُ المبيحُ للفطرِ، هو المرضُ الشديدُ الذي يزيد بالصوم، أو يُخشى تَأَخُّرُ برئهِ[1].

قال في «المُغْني»: «وحُكِيَ عن بعض السَّلَف: أنه أباح الفطر بكل مرض، حتى مِنْ وَجَع الإصبع والضّرس، لعموم الآية، يباح له الفطر، وإن لم يَحْتَج إليه، فكذلك المريضُ، وهذا مـذهبُ البخاري، وعـطاء وأهل الظاهر.

والصحيحُ: الذي يَخـاف المرضَ بـالصيام، يُفـطر، مثلُ المـريض وكذلك مَنْ غَلَبه الجوعُ أو العطشُ، فخاف الهلاك، لَزِمَه الفطرُ وإن كان صحيحاً مقيماً وعليه القضاء.

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلوا أنفُسَكم إنّ اللّهَ كان بِكُمْ رَحِيماً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّين مِنْ حَرَجٍ﴾.

وإذا صام المريضُ، وتحمل المشقّة، صَحّ صومُهُ، إلا أنه يُكره له ذلك لإعراضه عن الرخصةِ التي يحبُّها الله، وقد يلحقه بذلك ضررٌ.

وقد كان بعضُ الصحابة يصوم على عهد رسـول الله ﷺ، وبعضهم يفطر، متابعين في ذلك فتوى الرسول ﷺ.

قال حمزةُ الأسلميّ: يا رسول الله، أجدُ مني قوةً على الصـوم في السفر، فهل عليّ جُناح أن أفطر؟ فقال: «هي رخصةٌ من الله تعالى، فمن أخذ بها، فَحَسنٌ، ومن أحب أن يصومَ فلا جُناح عليه». رواه مسلم.

وعن أبي سعيـد الخُدْري رضي الله عنـه قـال: سـافـرنـا مـع رسـول الله ﷺ: إلى مكة عـام الفتح، فصـام حتى بلغ كُراعَ الغميمِ[2]،

---

(1) يعرف ذلك، إما بالتَّجْربة أو بإخبار الطبيب الثقة أو بغَلَبة الظنّ.

(2) اسم واد أمام عسفان.

وصامَ الناسُ معه، فقيل له: إن الناس قد شقّ عليهم الصيام، وإنّ الناس ينظرون ماذا فعلت، فدعا بقَدَح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه، فقال: «إنكم قد دنوتم من عدوِّكم والفطر أقوى لكم، فكانت رُخصةً، فمنا من صام، ومنا من أفطر؛ ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم فأفطروا، فكانت عَزْمَةً، فأفطرنا، ثم رأيتُنا نصومُ بعد ذلك مع رسول الله ﷺ في السفر». رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

إذا نوى المسافرُ الصيامَ بالليل، وشرع فيه، جاز له الفِطر أثناء النهار:

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كُراع الغميم، وصام الناس معه، فقيل له: إن الناس قد شقّ عليهم الصيام، وإن الناس ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدح من ماء بعد العصر، فشرب، والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضُهم، وصام بعضُهم، فبلغه: أن ناساً صاموا، فقال: «أولئك العصاة»[١]. رواه مسلم والنسائي، والترمذي وصححه.

وأما إذا نوى الصومَ - وهو مقيمٌ - ثم سافر في أثناء النهار فقد ذهب جمهورُ العلماء إلى عدم جواز الفطر له، وأجازه أحمد وإسحاقُ[٢].

لما رواه الترمذي[٣] - وحسّنه - عن محمد بن كَعْب قال: أتيت في رمضان أنس بن مالك، وهو يريد سفراً، وقد رحلت له راحلته، ولبس ثياب السفر، فدعا بطعام فأكل، فقلت له: سُنَّة؟ فقال: سُنَّة، ثم ركب.

---

(١) لأنه عزم عليهم، فأبوا، وخالفوا الرخصة.

(٢) وهو الصواب.

(٣) وللأستاذ الألباني حفظه اللهُ رسالةً مفردةً في تصحيح هذا الحديث.

وعن عبيد بن جبير قال: ركبت مع أبي بصرة الغِفَاري في سفينة من الفِسْطاط[1] في رمضان، فدفع، ثم قرب غداءه ثم قال: اقترب، فقلت: ألست بين البيوت؟ فقال أبو بَصْرة: أرغبتَ عن سنة رسول الله ﷺ؟[2]. رواه أحمد، وأبو داود.

قال الشوكاني: والحديثان يدلان على أن للمسافر أن يفطر قبل خروجه، من الموضع الذي أراد السفر منه.

هـ ـ من يجب عليه الفطر والقضاء معاً:

اتفق الفقهاءُ على أنه يجب الفطر على الحائض، والنفساء ويحرم عليهما الصيام، وإذا صاما لا يصحّ صومهما، ويقع باطلاً، وعليهما قضاء ما فاتهما.

وروى البخاري، ومسلم، عن عائشة، قالت: كنّا نحيضُ على عهد رسول الله ﷺ، فَنُؤمر بقضاء الصوم، ولا نُؤْمر بقضاء الصلاة.

---

(١) «الفسطاط»: مصر القديمة. (٢) استفهام إنكاري.

٨ ــ الأيامُ المنهيُّ عن صيامها

جاءت الأحاديث مصرحة بالنهي عن صيام أيام نبيّنها فيما يلي:

أ ــ النهي عن صيام يومي العيدين:

لقول عمر رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، أمّا يومُ الفطر، ففطرُكم من صومِكم[١] وأمّا يوم الأضحى، فكُلُوا من نُسُكِكم[٢]». رواه أحمد، والأربعة.

ب ــ النهي عن صوم أيام التشريق:

لا يجوزُ صيامُ الأيام الثلاثةِ، التي تلي عيدَ النحر:

لِمَا رواه أبو هُريرة أن رسول الله ﷺ، بعث عبدَالله بن حُذافة يطوف في منى: «أن لا تصوموا هذه الأيام، فإنّها أيام أكل وشرب وذكر الله عزّ وجل». رواه أحمد بإسناد جيد.

وروى الطَّبراني في «الكبير»، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أرسل صائحاً يصيح: «أن لا تصوموا هذه الأيام، فإنها أيامُ أكل، وشرب».

---

(١) أي الفطر من صيام رمضان.

(٢) «النسك»: الأضاحي.

ج ـ النهي عن صيام يوم الجمعة منفرداً:

يـومُ الجمعة عيـدٌ أُسبـوعيٌّ للمسلمين، ولـذلـك نهى الشـارع عن صيامه.

فعن عبـدالله بن عَمْرو: أن رسول الله ﷺ دخل على جُـوَيريـة بنت الحارث وهي صائمةً فقال لها: «أصمتِ أمس؟» فقالت: لا، قال: «أتُريـدين أن تصومي غداً؟» قالت: لا، قال: «فأفطري إذن». رواه أحمد، والنسائي، بسند جيد.

وفي «الصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تصوموا يوم الجمعة، إلا وقبله يوم، أو بعده يوم».

وفي لفظ لمسلم: «لا تخصوا ليلة الجمعة، بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة، بصيام من بين الأيـام، إلا أن يكون في صـوم يصومه أحدكم».

د ـ النهي عن إفراد يوم السبت بصيام:

عن بُسْر السُّلَمي، عن أخته الصمَّـاء: أن رسول الله ﷺ قـال: «لا تصوموا يومَ السبت إلا فيما افتـرض عليكم[1]، وإن لم يجد أحـدُكم إلا لحاءَ[2] عنبٍ، أو عودَ شجرة فليمضغه». رواه أحمد، وأصحاب «السنن»، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي، وقال: ومعنى الكراهة في هذا أن يخص الرجل يوم السبت بصيام لأن اليهود يعظمون يوم السبت[3].

---

(١) ويشتمل القضاء. (٢) «لحاء» أي قشر.

(٣) وللأخ علي حسن علي عبدالحميـد رسالـة «زهر الـروض في حكم صيام السبت في غير الفرض» تحت الطبع.

قلتُ: والحديثُ صريحٌ في النهي القطعيِّ عن صومهِ، ولم يُشِر إلى كونهِ منفرداً أو مخصوصاً، فالحملُ للحديث على ظاهره هو الأصل. والله اعلم.

هـ ـ النهي عن صوم يوم الشك:

قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه: «من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ». رواه أصحاب «السنن».

و ـ النهي عن صوم الدهر:

يحرُمُ صيام السنة كلِّها، بما فيها الأيام التي نهى الشارع عن صيامها.

لقول رسول الله ﷺ «لا صام، من صام الأبد»[1]. رواه أحمد، والبخاري ومسلم.

ز ـ النهي عن صيام المرأة في غير رمضان وزوجُها حاضرٌ، إلا بإذنه:

نهى رسولُ الله ﷺ المرأة أن تصوم، وزوجُها حاضرٌ حتى تستأذنه.

فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «لا تصُم المرأة يوماً واحداً وزوجُها شاهدٌ إلا بإذنه، إلا رمضان». رواه أحمد، والبخاري ومسلم.

ح ـ النهي عن وصال الصوم[2]:

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قالِ: «إياكم والوِصالَ» ـ قالها ثلاث مرات ـ قالوا: فإنك تواصل يا رسولَ الله؟ قال: «إنكم لستم في ذلك

---

(١) وذلك للحفاظ على صحة المسلم وقوته.

(٢) وصل الصوم: متابعة بعضه بعضاً دون فطر أو سحور.

مثلي، إنّي أبيت يُطعمني ربي ويسقيني، فأكلفوا من الأعمال ما تطيقون». رواه البخاري ومسلم[1].

ط ـ وكذلك يحرم صيام نصف شعبان لمن لم يصُم في أوله:

لقوله ﷺ: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا». أخرجه أبو داود.

وفي رواية الترمذي: «إذا بقي نصفٌ من شعبان فلا تصوموا»، وسندُهما صحيح.

ي ـ وينهى أيضاً عن صوم رجب متابعة لصوم شعبان ورمضان:

فعن أم سلمة قالت: «ما رأيتُ رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان». وحسنه الترمذي، وهو كما قال، وروى أبو داود والنسائي نحوه.

---

(١) ولا يحسن صوم يوم عرفة لمن كان فيها، فعن ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: أن الناس شكوا في صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه بحِلابٍ، وهو واقف في الموقف، والناس ينظرون. أخرجه البخاريَ ومسلم.

وينهَى أيضاً عن صيام يوم النحر، وأيام التشريق لقوله ﷺ: «يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام». رواه الخمسة إلا ابن ماجه، وصححه الترمذي.

وكذلك ينهى عن صوم السابع والعشرين من شهر رجب بمناسبة ما تزعمه العامة من عروجه ﷺ في هذا التاريخ. وهو غير صحيح فإننا لا نعرف بالتأكيد تاريخ عروجه ﷺ وهو لم يعرج من عند الصخْرة كما تزعم العامة أيضاً.

٩ ـ صيام التطوُّع

رغّب رسول الله ﷺ، في صيام هذه الأيام الآتية:

أ ـ صيامُ ستّةٍ أيام من شوال:

روى الجماعةُ ـ إلا البخاري والنسائي ـ عن أبي أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر[١]».

ب ـ صوم عشر ذي الحَجّة وتأكيد يوم عرفة لغير الحاج:

عن أبي قَتادةَ رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «صوم يوم عرفة، يكفر سنتين ماضية ومستقبلة، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية». رواه الجماعة إلا البخاري، والترمذي.

عن حفصة قالت: أربعٌ لم يكن يدعهنّ رسول الله ﷺ: «صيام عاشوراء والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة». رواه أحمد، والنسائي.

---

(١) هذا لمن صام رمضان كل سنة، قال العلماء: الحسنة بعشر أمثالها ورمضان بعشرة شهور، والأيام الستة بشهرين.

ج ـ صيام المحرّم، وتأكيد صوم عاشوراء ويوم قبلها، ويوم بعدها[1]:

عن أبي هُريرة قال سُئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: «الصلاة في جوف الليل»، قيل، ثم أي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «شهر الله[2] الذي تدعونه المحرم». رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء، يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه، وأمر الناس بصيامه. فلما فرض رمضان قال: «من شاء صامه ومن شار تركه[2]». متفق عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهودَ تصوم عاشوزاء. فقال: «ما هذا؟». قالوا: يوم صالحٌ، نجّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوِّهم، فصامه موسى. فقال ﷺ: «أنا أحق بموسى منكم» فصامه، وأمر بصيامه[2]. متفق عليه.

د ـ صيام أكثر شعبان:

كان رسول الله ﷺ يصوم أكثر شعبان. قالت عائشة: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيامَ شهرٍ قطّ، إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان». رواه البخاري، ومسلم.

---

(١) وذلك من أجل مخالفة اليهود وعدم التشبه بهم...

(٢) وبمناسبة الكلام على عاشوراء فإنه لا صحة لحديث «من وسع على عياله في النفقة يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» وهو حديث ضعيف من جميع طرقه كما قال محقق المشْكاة».

وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يَغْفَل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فَأُحبّ أن يرفع عملي وأنا صائم». رواه النسائي وصححه ابن خزيمة.

وتخصيص صوم يوم النصف منه ظنّاً أنّ له فضيلةً على غيره، مما لم يأت به دليلٌ صحيحٌ[1].

حكم الصوم في رجب تخصيصاً

وصيام رجب، ليس له فضلٌ زائدٌ على غيره، من الشهور، إلا أنه من الأشهر الحرم.

ولم يَرِدْ في السنة الصحيحة: أن للصيام فيه فضيلةً مخصوصةً وأن ما جاءَ في ذلك مما لا ينهض للاحتجاج به.

قال ابنُ حجر: لم يرد في فضلهِ، ولا في صيامهِ، ولا في صيام يوم مُعَيّن منه، ولا في قيام لَيلةٍ مخصوصة منه، حديثٌ صحيحٌ يصلح للحجة.

هـ ـ صوم يومي الاثنين والخميس:

عن أبي هُريرة: أن النبي ﷺ كان أكثر ما يصوم الاثنين، والخميس.

---

(١) وحديث «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها وصوموا نهارها». الحديث، رواه ابن ماجه بإسناد واه جداً، فيه ابن أبي سبرة يضع الحديث، كما قال أحمد وابن معين.

وقد صح في نصف شعبان حديث: «... يغفر فيه لكل المسلمين إلا لمشرك أو مشاحن» أي: مبتدع، كما قال كثيرٌ من الشراح.

فقيل له[1]؟ فقال: «الأعمال تعرض كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن، إلا المتهاجرين، فيقول أَخِّرْهما». رواه أحمد، وغيره.

وفي «صحيح مسلم»: أنه ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه» أي نزل الوحي عليّ فيه.

و ـ صيام ثلاثة أيام، من كل شهر، وتسمى الأيام البيض:

قال أبو ذَرّ الغِفَاري رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ: أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ثلاثة عشرة، وأربعة عشرة، وخمسة عشرة. وقال: «هي كصوم الدهر». رواه النسائي، وصحّحه ابن حبان.

العلمُ الحديث يكشفُ سرَّ هذا الحديثِ وإعجازَه العلميّ

«يقول الدكتور ليبَر عالم النفس بميامي في الولايات المتحدة: إنَّ هناك علاقةً قويةً بين العدوان البشري والدورة القمرية، وشرح «ليبر» نظريتَه قائلاً:

إنّ جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكوّن من ٨٠ بالمئة من الماء والباقي هو من المواد الصلبة، ومن ثم يُعتقد بأن الجاذبية القمرية التي تسبّب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبِّب أيضاً هذا المدَّ في أجسامنا عندما يبلغ القمر أَوْجَ اكتماله في الثَالثَ عشرَ، والرابعَ عشر، والخامس عشر، والحياةُ كما يعتقد (ليبر) لها نوبات مدّ بيولوجي عالية، ونوبات جزر بيولوجي منخفضة ويبلغ تأثير المدّ أقصاه في البحار والمحيطات عندما يكون القمرُ بدراً، وكذلك يبلغ مداه في السلوك الإنسانيِّ عند اكتمال القمر في الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

---

(١) «فقيل له» أي سئل عن الباعث على صوم يومي الخميس والاثنين.

وقد وَجَدَتْ استنتاجاتُ الدكتور لِيبرَ ما يُؤَيِّـدها في الحـوادث التي وقعت عندما التقت الأرض والشمس على خط مستقيم واحد عام ١٩٧٠ فقد اقترب القمر من الأرض اقتراباً كبيراً، وزادت بذلك جاذبيته، وارتفعت حينئذ نسبة الجرائم في ميامي ارتفاعاً شديداً»[١].

ومّما سبق نُدرك عظمة الرسول ﷺ وإعجاز أقواله العلمية مما يدل دلالة قاطعةً على صدق رسالته وأنها وحيٌ يوحى إذ لا يُعقل أن يأتي بكل ذلك من عندهِ.

ز ــ صيام يوم وفطر يوم:

عن أبي سَلَمة بن عبدالرحمٰن، عن عبدالله بن عمرو قال: لي رسول الله ﷺ: «لقد أُخبرت أنك تقوم الليل وتصوم النهار» قال قلت: يا رسول الله نعم، قال: «فَصُم وأفطر، وَصَلِّ ونَمْ، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لِزَوْرِك[٢] عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام». قال فشدّدت فشدد علي قال: قلت يا رسول الله إني أجدُ قوة قال: «فصم في كل جمعة ثلاثة أيام»، قال فقلت: يا رسول الله إني أجد قوة. قال: «صم صوم نبي الله داود، ولا تزد عليه». قلت: يا رسول الله. وما كان صيام داود عليه الصلاة والسلام؟ قال: «كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً». رواه أحمد، وغيره.

وعن عبدالله بن عمرو أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود. كان ينام نصف الليل، ويقوم ثُلُثَه، وينام سُدُسَه وكان يصومُ يوماً ويفطر يوماً». رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

---

(١) باختصار عن المجلة العربية السعودية.

(٢) «زورك» أي ضيفك.

جوازُ فِطْرِ الصائم المتطوع

عن أُمّ هانىء رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ دخل عليها يومَ الفتح، فَأُتِيَ بشراب، فشرب، ثم ناوَلَني، فقلت: إني صائمة فقال: «إن المتطوّع أمير على نفسه، فإن شئت فصومي، وإن شئت فأفطري». رواه أحمد، والدارقطني والبيهقي ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. ولفظه: «الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام، وإن شاء أفطر».

وعن أبي جُحَيفة قال: آخى النبيُّ ﷺ بين سَلْمان وأبي الدرداء، فرأى أمّ الدرداء مُتَبَذِّلَة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء، ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كُلْ فإني صائم، فقال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليلُ، وذهب أبو الدرداء يقوم قال: نَمْ فنام ثم ذهب. فقال: نَمْ حتى كان في آخِرِ الليل، قال: قم الآن فَصَلِّ، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان». رواه البخاري والترمذي.

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: صنعتُ لرسول الله ﷺ طعاماً، فأتاني هو وأصحابُه، فلما وضع الطعام، قال رجل من القوم: إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: «دعاكم أخوكم، وتكلف لكمْ، أفْطِر، وصم يوماً مكانه إن شئت». رواه البيهقي بإسناد حسن، كما قال الحافظ.

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى جواز الفطر، لمن صام متطوعاً واستحبوا له قضاء ذلك اليوم، استدلالاً بهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة، وهذا لا يَعْني الوجوب كما هو ظاهرٌ.

١٠ ــ آداب الصيــام

يُسْتَحَبُّ للصائم أن يُراعي في صيامِهِ الآدابَ الآتية:

١ ــ السَّحــور:

وقد أَمَرَ به النبيَّ ﷺ وَحَثَّ عليه:

فعن أنسٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «تسحّروا فـإن في السحور بركة[1]». رواه البخاري ومسلم.

وعن المِقْدام بن مَعْدي كَـرِب، عن النبي ﷺ قـال: «عليكم بهـذا السَّحور فإنه هو الغذاءُ المباركُ». رواه النسائي بسندٍ جيد.

وسَبَبُ البركةِ: أنه يُقَوّي الصائم، ويُنَشِّطُه، ويهون عليه الصيام.

بــم يتحقــق؟:

ويتحقق السحور بكثير من الطعام وقليلِهِ، ولو بجرعة ماء. فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «السحور بركة، فلا تَدَعوه ولو أن جَرَعَ أحـدكم جرعَـة ماء، فـإن الله وملائكتـه يصلون على المتسحرين». رواه أحمد، وله طرقٌ عديدة تقوِّيهِ.

---

(١) السَّحور: بالفتح المأكول، وبالضم المصدر والفِعْل.

وقتـــه:

وقت السَّحــور من منتصف الليـل إلى طلوع الفجــر، والمستحبُّ تأخيرُهُ.

فعن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه قال: تسحَّرْنا مع رسول الله ﷺ، ثم قُمنا إلى الصلاة، قلت: كـم كان قدرُ ما بينهما؟ قال: خمسين آيـة. رواه البخاري، ومسلم.

وعن عمرو بن ميمون قال: «كان أصحـاب محمد ﷺ أعجـل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً». رواه البيهقي بسند صحيح.

الشَّكُّ في طلوع الفجر:

ولو شكّ في طلوع الفجـر، فله أن يأكُـلَ، ويشرب، حتى يستيقن طلوعَه، ولا يعمل بالشك، فإنّ الله عز وجل جَعَلَ نهـاية الأكـل والشرب التبيُّنَ نفسه، لا الشك، فقال: **﴿وكُلُوا واشْرَبـوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ من الخيطِ الأَسْوَدِ من الفَجْرِ﴾**.

وقال رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما: «إني أتسحّر فإذا شككتْ؟ فقال ابنُ عباس: كل، ما شككت حتى لا تشكّ».

وقال أبو داود: قال أبو عبدالله[1]: «إذا شكّ في الفجر يأكلُ حتى يستيقن طلوعه».

وهذا مذهبُ ابن عباس: وعطاء والأوزاعيّ، وأحمد.

وقال النووي: وقد اتفق أصحابُ الشافعيِّ على جواز الأكل للشاكِّ في طلوع الفجر.

---

(١) هو أحمد بن حنبل.

٢ ـ تعجيل الفطر:

ويُستحب للصائم أن يُعَجِّل الفطر، متى تحقّق غروب الشمس.

فعن سَهْل بن سَعْد: أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير، ما عجلوا الفطر». رواه البخاري ومسلم.

وينبغي أن يكون الفِطْرُ على رَطَبات وتراً، فإن لم يجد فعلى الماء.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يُصَلّي، فإن لم تكن فعلى تمراتٍ، فإن لم يكن حَسَا حسواتٍ[1] من ماء». رواه أبو داود، والحاكم وصحّحه، والترمذيّ، وحسّنه.

٣ ـ الدُّعاء عند الفطر وأثناءَ الصيام:

وثبت أنه ﷺ كان يقولُ: «ذهب الظمأُ، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى».

وروى الترمذيُّ ـ بسند حسن ـ أنه ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائم حتى يفطر[2]، والإمام العادل، والمظلوم».

٤ ـ الكَفّ عما يتنافى مع الصيام:

الصيامُ عبادةٌ من أفضل القُرُبات، شرعه الله تعالى ليهـذِّب النفس، ويُعَوِّدها الخير.

---

(١) «حسا» أي شرب.

(٢) يستفاد منه استحباب الدعاء طول مدة الصيام.

فينبغي أن يتحفّظ الصائم من الأعمال التي تخدِشُ صومه، ينتفع بالصيام، وتحصل له التقوى التي ذكرها اللَّهُ في قوله: ﴿يَا أَيُّها الّذين آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَام كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وليس الصيامُ مجرّدَ إمساك عن الأكل والشرب، وإنما هو إمساكٌ عن الأكل والشرب، وسائر ما نهى الله عنه.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ليس الصيامُ من الأكل والشرب إنما الصيام عن اللغو، والرفث، فإن سابك أحد، أو جهل عليك، فقل: إني صائم إني صائم». رواه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وروى الجماعةُ ـ إلا مسلماً ـ عن أبي هُريرة: أن النبي ﷺ قال: «من لم يَدَع[1] قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه[2]».

وعنه أن النبيَّ ﷺ قال: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السَّهَر». رواه النسائي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري.

٥ ـ السِّواك:

ويُستحب للصائم أن يتسوّك أثناء الصيام، ولا فَرْقَ بين أول النهار وآخره، وكان النبيُّ ﷺ يتسوك، وهو صائم[3].

---

(١) أي: يترك.

(٢) أي: إن الله لا يقبل صيامه.

(٣) وسنده جيد.

٦ ــ الجُودُ ومُدارَسَةُ القرآنِ:

الجُودُ ومدارسة القرآن مُستحبّان في كُلِّ وقت، إلا أنّهما آكَدُ في رمضان.

روى البُخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجوَد ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلةٍ من رمضان فَيُدارِسُهُ القرآن وكان ﷺ أجوَد بالخير من الريح المرسلة[1].

٧ ــ الاجتهادُ في العبادة في العشر الأواخرِ من رمضان:

١ ــ روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشرُ الأواخرُ أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشَدَّ المِئْزَرَ[2]».

وفي رواية لمسلم: كان يجتهدُ في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

٢ ــ وروى الترمذيُّ وصحّحه، عن علي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يوقظ أهلَه في العشر الأواخر، ويرفعُ المِئْزَرَ».

---

(١) أي: في الإسراع.

(٢) أي: اعتزل النساء، واشتدّ في العبادة.

١١ - مُباحات الصيام

يُباح في الصيام ما يلي:

١ ـ الاستحمامُ واستعمالُ الماء والانغماسُ فيه لدفع عَطَشٍ شديدٍ أو حر شديدٍ أو لرفع جنابةٍ.

لما رواه عبدُالرحمن بن أبي بكر عن بعض أصحاب النبيِّ ﷺ: أنه حدّثه فقال: «ولقد رأيت رسول الله ﷺ يصبُّ على رأسه الماء وهو صائمٌ، من العطش أو من الحَرّ». رواه أحمد، ومالك وأبو داود، بإسناد صحيح.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يُصبح جُنُباً، وهو صائمٌ، ثم يغتسل.

فإن دخل الماءُ في جوف الصائم من غير قَصْدٍ فصومه صَحيحٌ، لكنْ عليه تجنُّبُه والتحرُّزُ منه.

٢ ـ الاكتحال والقطرة ونحوهُما مما يَدْخُلُ العين، سواءٌ أَوَجَدَ طعمه في حلقه أم لم يجده، لأنّ العينَ ليست بِمَنْفَذٍ إلى الجوف.

وعن أنس: «أنه كان يكتحلُ وهو صائمٌ».

٣ ـ القُبلة: لمن قدر على ضبط نفسه[1].

---

(١) فقد صحّ أنّ النبي ﷺ أذِنَ بالقُبلةِ للشيخِ، ولم يأذَن للشاب، ثم علّل ذلك ﷺ بأنّ «الشيخ يملك نفسه».

فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشرُ وهو صائم، وكان أملككم لإِرْبِهِ».

وعن عُمَر رضي الله عنه أنه قال: هَشَشْتُ[1] يوماً، فقبّلت وأنا صائم، فأتيتُ النبي ﷺ فقلت: صنعتُ اليوم أمراً عظيماً، قَبّلت وأنا صائـمٌ، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتَ لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟» قال: قلت: لا بأس بذلك، قال: «ففيمَ[2]!»[3].

وسواءٌ أقبّل الخدَّ أم الفمَ أو غيرهما، وكذا المباشرةُ باليد والمعانقة لهما حُكْمُ القبلةِ.

٤ ـ الحُقنة: مطلقاً، سواء أكـانت للتغذيـةِ[4]، أم لغيرهـا، وسواءٌ أكانت في العروق، أم تحتَ الجلد فإنها وإن وصلت إلى الجوف، فإنها تصل إليه من غير المَنْفَذ المعتاد.

٥ ـ الحِجَامة[5]: فقد احتجم النبي ﷺ وهو صائم[6] إلا إذا كانت تُضعف الصائم فإنها تكره له.

قـال ثـابت لأنس: أَكُنْتُم تكـرهـون الحجـامَـة للصـائم على عَهْـدِ

---

(١) «هششت» أي: نشطت. (٢) «ففيم» أي: ففيم السؤال!.

(٣) رواه أحمد والبيهقي بسند صحيح.

(٤) «الحُقنة التي يقولُ شيخُ الإسلام: إنها لا تُفطر بالصائم، هي التي تُوصْلِ الدواء إلى باطِنِهِ من مخرجه، وقوله حقّ. ولكـن يوجد في هذا الزمان حُقنَ أخرى وهي إيصالُ بعض المواد المغذية إلى الأمعاء، يُقصد بها تغذية المرضى، فهذا النوع يفطر الصائم، فهو لا يباح له إلا في المرض المبيح للفطر». قاله الشيخ رشيد رضا.

ممّا سبق ندرك خطأً قول الأخ الشيخ السيد سابق بإباحةِ الحُقنة ولو كانت للتغذية لأن ذلك يُبطل الغاية من الصيام.

(٥) «الحجامة» أخذ الدم من الرأس أو غيرهِ من أعضاء الجسم.

(٦) رواه البخاري.

رسول الله ﷺ؟ قال: «لا، إلّا من أجل الضعف». رواه البخاري وغيره.

والفَصْدُ[1] مثل الحجامة في الحكم[2].

٦ ـ المضمضةُ والاستنشاقُ: إلّا أنه تُكره المبالغة فيهما، فعن لَقيط بن صَبِرة أن النبي ﷺ قال: «فإذا استنشقت فَأَبْلِغ. إلا أن تكون صائماً». رواه أصحابُ «السُّنن».

وقال الترمذي: صحيحٌ.

وقد كَرِهَ أهلُ العلم السَّعُوط[3] للصائم، ورأوا: أنّ ذلك يفطر. وفي الحديثِ ما يُقِرُّ قولَهم.

قال ابن قُدامَة: وإنْ تَمضْمَضَ، أو استنشقَ في الطهارة فَسَبَق الماءُ إلى حلقِهِ، من غير قصدٍ ولا إسرافٍ فلا شيء عليه وبه قال الأوزاعيُ. وإسحاقُ، والشافعيُّ في أحد قوليهِ، ورُوي ذلك عن ابن عباس.

٧ ـ وكذا يُباح له ما لا يمكن الاحترازُ عنه كبلع الريـقِ وغُبارِ الطريق، وغربلة الدقيقِ والنُّخامةِ ونحو ذلك.

وقال ابن عباس: لا بأس أن يذوقَ الطعام كالخَلِّ، والشيء يريد شراءه[4].

وأما مَضْغُ العِلْك[5] فإنّه مكروه، إذا كان لا يتفتت منه أجزاءٌ.

---

(١) «الفصد» أي أخذ الدم من أي عضو.

(٢) وحديث أفطر الحاجم والمحجوم منسوخ بفعل الرسول ﷺ.

(٣) «السَّعوط» أي وضع الدواء في الأنف.

(٤) روى البُخاري عن عطاء قال: إن تمضمض ثم أفرغ ما في فيه من الماء لا يضير أن يزدردَ ريقه، وما بَقي في فيهِ. ولا يمضغُ العِلْكَ، فإن ازدردَ ريقَ العلكِ لا أقول أنّه يُفطر، ولكن يُنهى عنه.

(٥) «العلك» أي اللبان.

قال ابنُ تيميّة: وشمُّ الروائحِ الطيبةِ لا بأس به للصائم.

وقال: أما الكُحْلُ، والحُقْنَة، وما يقطر في إحليلِهِ، ومداواة المأمومةِ والجائفةِ[1]، فهذا مما تنازع فيه أهل العلم، والأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك، فإنّ الصيامَ من دين الإسلامِ، الذي يحتاج إلى معرفته الخاصُّ، والعامُّ.

فلو كانت هذه الأمورُ مما حرّمها اللّهُ ورسولهُ، في الصيام ويَفْسُدُ الصوم بها لكان هذا يوجبُ على الرسول بيانَه، ولو بيّن ذلك لعلمه الصحابة، وبلّغوه الأمة كما بلّغوا سائر شرعه.

فلمّا لم يَنْقُلْ أحدٌ من أهل العلم، عن النبيِّ ﷺ في ذلك. لا حديثاً صحيحاً ولا ضعيفاً، ولا مسنداً، ولا مرسلاً عُلِمَ أنه لم ينكر شيئاً من ذلك.

قال: فإذا كانت الأحكامُ التي تَعُمُّ بها البلوى، لا بد أن يُبيّنَها الرسولُ ﷺ بياناً عاماً، ولا بد أن تنقل الأمة ذلك.

فمعلومٌ أن الكُحل، ونحوه مما تعمّ به البلوى، كما تعمُّ بالدُّهْنِ، والاغتسال، والبَخُور والطِّيبِ.

فَلو كان هذا ممّا يُفطِّر، لبيّنه النبيّ ﷺ، كما بيّن الإفطار بغيره، فلمّا لم يبين ذلك، عُلم أنه من جنس الطِّيب، والبخور، والدهن.

والبخور قد يتصاعد إلى الأنف ويدخل في الدماغ، وينعقد في أجسامنا.

والدُّهن يشربه البدن، ويدخل إلى داخِله ويتقوّى به الإنسان، وكذلك يتقوّى بالطِّيب قوة جيدة.

---

(١) الجائفة: الجراحة التي تصل إلى الجوف، والمأمومة: الشجّة في الرأس تصل إلى أمّ الدماغ، ومداواتُهما ليس فيه تغذية للصائم.

فلمّا لم يُنه الصائم عن ذلك دلّ على جواز تطيُّبِهِ، وتبخُّرِهِ، وادهّانه، وكذلك اكتحالِهِ.

وقد كان المسلمون في عهده ﷺ يُجرح أحدهم، إما في الجهاد، وإما في غيره، مأمومةً، وجائفةً فلو كان هذا يفطر، لبيّن لهم ذلك.

فلمّا لم يُنه الصائم عن ذلك، علم أنه لم يجعله مفطراً.

ثم قال: فإنّ الكُحل لا يُغذّي ألبتّة، ولا يُدخل أحد كحلاً إلى جوفه، لا من أنفهِ، ولا من فمهِ.

وكذلك الحُقنة[1] لا تُغذّي بل تستفرغ ما في البدن، كما لو شمّ شيئاً من المُسَهّلات، أو فرغاً، أوجب استطلاق جوفه، وهي لا تصل إلى المعدة.

والدواء الذي يصلُ إلى المعدة، في مداواة الجائفة والمأمومةِ لا يُشبه ما يصلُ إليها من غذائه.

والله سبحانه قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كما كُتِبَ على الذينَ مِنْ قَبْلِكُم﴾.

وقال ﷺ: «الصوم جُنَّة».

فالصائمُ نُهِيَ عن الأكل والشرب، لأنّ ذلك سببُ التقوّى، فتركُ الأكلِ والشربِ الذي يُوَلِّدُ الدم الكثير، الذي يجري فيه الشيطان[2]، إنما يتولّد من الغذاء. لا عن حقنة، وما يقطر في الذَّكَر، وما يُداوى به المأمومة والجائفة» انتهى.

---

(١) يقصد الحقنة الشَّرْجيّة، فإنها لا تفطر الصائم.

(٢) والنبيُّ ﷺ يقول: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».

٨ ــ ويباح للصائم، أن يأكل، ويشربَ، ويجامعَ، حتى يطلع الفجر؛ فإذا طلع الفجرُ، وفي فمه طعام، وجب عليه أن يلفظه[١]، أو كان مجامعاً وجب عليه أن ينزعَ.

روى البُخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إنّ بلالاً يُؤَذّن بليل، فكلُوا، واشربوا، حتى يؤذّن ابن أم مكتوم».

٩ ــ ويُباح للصائم أن يُصبح جُنُباً، وتقدّم حديثُ عائشة في ذلك.

١٠ ــ والحائضُ والنُّفَساء إذا انقطع الدم من الليل، جاز لهما تأخير الغسل إلى الصبح، وأصبحتا صائمتين، ثم عليهما أن يتطهّرا للصلاة.

---

(١) وهذا بخلاف الحديث الصحيح الذي جاء فيه «إذا سمع أحدُكم النداء، والإناءُ في يده، فلا يَضَعْه حتى يقضيَ حاجتَه». رواه أبو داود.

١٢ ـ ما يُبطل الصيام

ما يبطل الصيامَ قسمان:

١ ـ ما يُبطله، ويوجب القضاء.

٢ ـ وما يُبطله، ويوجب القضاء، والكَفّارة.

فأما ما يُبطله ويوجب القضاء فقط فهو ما يأتي:

١، ٢ ـ الأكل، والشرب عمداً[1].

فإن أكل أو شرب[2] ناسياً، أو مخطئاً، أو مُكْرَهاً، فلا قضاء عليه ولا كفارة.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من نَسِيَ ـ وهو صائمٌ ـ فأكل أو شرب، فَلْيُتِمّ صومه، فإنّما أطعمه الله وسقاه». رواه الجماعة.

---

(١) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالة «حقيقة الصيام» ردّاً على مثل هذا الكلام: «من أفطر عامداً بغير عذر كان تفويته لها من الكبائر، وكذلك من فَوّتَ صلاة النهار إلى الليل عامداً من غير عذر، كان تفويته لها من الكبائر، وإنها لا تقبل على أظهر قول العلماء، كمن فوّت الجمعة، وَرَمْيَ الجمار، وغير ذلك من العبادات المؤقتة».

وقال الذهبي: وعند المؤمنين مقرّر: إن من ترك صوم رمضان بلا مرض إنه شَرّ من الزاني ومدمن الخمر، بل يُشكّ في إسلامه، ويظنون به الزندقة والإخلال.

(٢) وكذلك من يُجامِع ناسياً.

وروى الدارقطني والبيهقي والحاكمُ ـ وقال: صحيح على شرط مسلم ـ عن أبي هُريرة أن النبي ﷺ قال: «من أفطر في رمضان ـ ناسياً ـ فلا قضاء عليه ولا كفارة» قال الحافظ ابن حَجَر: إسناده صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ النبيّ ﷺ قال: «إن اللّهَ وضع عن أمّتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم، وسنده جيد.

٣ ـ القَـيْء عمـداً:

فإنْ غَلَبه القيءُ، فلا قضاء عليه ولا كفّارة.

فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ذَرَعَه[١] القيءُ فليس عليه قضاءٌ ومن استقاء[٢] عمداً فليقض». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والدارقطني والحاكم وصححه.

٤، ٥ ـ الحيض والنفاس، ولو في اللحظة الأخيرة قبل الشمس، وهذا ممّا أجمع العلماء عليه.

٦ ـ تناوُلُ ما لا يُتغذّى به، من المنفذ المعتاد، إلى الجوف مثل تعاطي الملح الكثير، فهذا يُفطر في قول عامة أهل العلم.

٧ ـ ومن نوى الْفِطرَ ـ وهو صائم ـ بَطَلَ صومه، وإن لم يتناول مُفَطراً. فإنّ النيةَ ركنٌ من أركان الصيام، فإذا نَقَضَها ـ قاصداً الفِطْرَ ومتعمّداً له ـ انتقض صيامُه لا محالةَ[٣].

---

(١) ذرعه أي: غَلَبه.

(٢) «استقاء» أي: تعمّد القيء واستخرجه، بشمِّ ما يُقَيِّئُهُ، أو بإدخال يده.

(٣) وهذا بحاجة إلى تأمُّل ومُراجعة. والله أعلم.

٨ ـ إذا أكل، أو شرب، أو جامع ـ ظانّاً غروبَ الشمس أو عدم طلوع الفجر، فظهر خلافُ ذلك:

ذهب إسحاق وداود وابن حزم وعطاء وعروة، والحسن البصري، ومجاهد: إلى أنّ صومَه صحيحٌ، ولا قضاء عليه. لقول الله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قلوُبُكُمْ**﴾.

ولقولِ رسولِ الله ﷺ: «إنّ اللَّهَ وَضَعَ عن أُمَّتي الخَطَأَ. . .» إلخ. وتقدّم.

وروى عبدُ الرزّاق قال: حدثنا مَعْمَر عن الأعمش، عن زيد بن وَهْب، قال: أفطر الناسُ في زمن عمر بن الخطاب، فرأيتُ عِسَاساً[1] أخرجت من بيت حفصة فشربوا، ثم طلعت الشمسُ من سحاب فكأنّ ذلك شقَّ على الناس، فقالوا: نقضي هذا اليوم؟ فقال عُمر: «لم؟ واللَّهِ ما تجانَفْنَا الإثمَ»[2]. وسنده صحيحٌ.

وروى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «أفطرنا يوماً في رمضانَ، في غَيْمٍ، على عهد رسول الله ﷺ، ثم طَلَعت الشمس».

قال ابنُ تيمية: وهذا يدلُّ على شيئين:

الأول: يدلُّ على أنه لا يُسْتَحَبُّ مع الغيم التأخيرُ إلى أن يتيقّن الغروب، فإنهم لم يفعلوا ذلك، ولم يأمرهم به النبيُّ ﷺ، والصحابةُ ـ مع نبيِّهم ـ أعلمُ وَأَطْوَعُ لله ولرسولهِ، ممّن جاء بعدَهم.

والثاني: يدلُّ على أنه لا يجبُ القضاء، فإنّ النبيَّ ﷺ لو أمرهم بالقضاء، لشاع ذلك، كما نُقل فطرهم فلما لم يُنقل دل على أنه لم يأمرهم به؟.

---

(١) «عِساساً» أي أقداحاً ضِخاماً، قيل: إنّ القدح نحو ثمانية أرطال.

(٢) «ما تجانَفْنا» التجانفُ: المَيل، لم نَمِل لارتكاب الإثمِ.

وأمّا ما يُبطله ويوجبُ القضاءَ والكفّار، فهو الجِمَاعُ لا غير عند الجمهور.

فعن أبي هُريرة قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: هلكتُ يا رسولَ الله! قال: «وما أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضانَ. فقال: «هل تجدُ ما تعتقُ رقبة؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيعُ أن تصومَ شهرين متتابعين» قال: لا قال: «فهل تجد ما تُطعِمُ ستّين مسكيناً؟» قال: لا. قال: ثم جلس فأتى النبي ﷺ بِعَرَق[1] فيه تمر، فقال: «تصدّق بهذا»، قال: فهل عليها أفقرُ منّا؟. فما بين لابَتَيْها[2] أهلُ بيتٍ أحوجُ إليه منّا، فضحك النبيُّ ﷺ، حتى بدت نواجذُه، وقال: «اذهب فأطْعِمْه أَهْلَك»[3]. رواه الجماعة.

وزاد البيهقيُّ وغيره أنّ النبيَّ ﷺ قال له: «اقض يوماً مكانَه».

---

(١) «العَرَق» مكيال يسع ١٥ صاعاً.

(٢) «لابتيها» جمع لابة. وهي الأرض التي فيها حجارةٌ سودٌ. والمراد: ما بين أطراف المدينة أفقرُ منا.

(٣) استدلّ بهذا، من ذهب إلى سُقوط الكفارة بالإعسار، وهو أحدُ قولي الشافعي، ومشهورُ مذهب أحمد، وجزم به بعضُ المالكية، والجمهورُ على أن الكفارة لا تسقط بالإعسارِ!.

١٣ ـ قضاءُ رمضان

قضاءُ رمضانَ لا يجبُ على الفَوْرِ، بل يجبُ وجوباً موسّعاً في أي وقت، وكذلك الكفارة.

فقد صحّ عن عائشة: أنها كانت تقضي ما عليها من رمضان في شَعْبَان[1] ولم تكن تقضيهِ فوراً عند قُدْرَتِها على القضاء.

والقضاءُ مثل الأداءِ، بمعنى إنْ ترك أياماً، يَقْضيها دون أن يزيدَ عليها.

ويُفارق القضاءُ الأداءَ، في أنه لا يلزمُ فيه التتابُعُ، لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. أيْ: ومن كان مريضاً أو مسافراً فأفطر، فَلْيَصُم عدّة الأيام، التي أفطر فيها، في أيام أخر، متتابعات أو غير متتابعات، فإنه أطلق الصيام ولم يُقَيِّده.

قال النوويّ: «وهذا القولُ هو الصحيحُ المختارُ الذي نعتقده وهو الذي صحّحه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقهِ والحديثِ لهذه الأحاديثِ الصحيحة الصريحةِ».

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

١٤ ـ التقديرُ في البلاد التي يطولُ نهارُها ويقصُرُ ليلُها

اختلفت الفقهاءُ في التقديـر، في البلادِ التي يطولُ نهارُها، ويقصُـرُ ليلُها، والبلادُ التي يقصُرُ نهارُها، ويطولُ ليلُها، على أيِّ البلادِ يكون؟.

فقيل: يكونُ التقديرُ على البلاد المعتدلةِ التي وقع فيهـا التشريـعُ، كمكّة والمدينة، وقيل: على أقرب بلادٍ معتدلةٍ إليهم.

١٥ ــ صَـوْمُ المسافِرِ[١]

١ ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّ حمزة بن عمرو الأَسْلَمي قال للنبي ﷺ:

أصومُ في السفر؟ وكان كثيرَ الصيام. فقال:

«إن شئتَ فَصُم، وإن شئت فأفطر». رواه البخاري ومسلم.

٢ ــ وعن جابر قال: كان رسـولُ الله ﷺ في سَفَر، فـرأى زِحامـاً، ورجلاً قد ظُلّل عليه[١]، فقال: «ما هذا؟». قالوا: صائم. فقال: «ليس من البرِّ الصومُ في السَّفَر». رواه البخاري ومسلم.

٣ ــ عن أنس قال: كنا مع النبيِّ ﷺ في السفر، فمنّا الصائم ومنّا المفطر، فنزلنا منزلاً في يـوم حارٍّ، فسقط الصـوّامون، وقـام المفطرون، فضربوا الأبنيةَ[٢]، وسقوا الرِّكابَ[٣]. فقال رسول الله ﷺ:

«ذهب المُفطرون اليومَ بالأجرِ». رواه البخاري ومسلم.

٤ ــ وعن أبي بَصْرة الغِفَاري:

أنه ركب سفينةً من الفِسْطاط في شهر رمضانَ فدفع، ثم قَرّب غِداءَه،

---

(١) وقد سبق شيءُ من أحكامهِ (ص ٤٣ ـ ٤٥).

(٢) أي: رجلاً سقط من ضعف بسبب الصوم، وجُعل عليـه ظُلَّةٌ تقيـهِ حـرَّ الشمسِ.

(٣) أي: الخيام. (٤) أي: الإبل التي يسار عليها.

فلم يجاوز البيوتَ حتّى دعانا لسفرة، ثم قال: اقتربْ! قيل: أَلَسْتَ ترى البيوت؟.

قال: أترغب عن سُنّة محمدٍ ﷺ؟.

فأكل.

رواه أبو داود وسنده صحيح.

١٦ ـ أبحاث متنوِّعة عصرية في الصيام

أ ــ أنتَ والدواء في رمضان[١]:

ظاهرتان ملحوظتان في رمضان.

* البعض يسأل كيف يتناولون جرعات الدواء المتعددة. . في حين يصومون طوال النهار؟!

* الكثيرون يصبون في أفواههم كميات لا حصر لها من الأدوية بعد تناول وجبة الإفطار. بحجة أن ذلك يساعد على تخفيف عبء الوجبة «الثقيلة» على المعدة؟.

والفئة الأولى معدودة، خصوصاً وأن أصحابها يعانون من بعض الأمراض التي تتطلب تناول الدواء ثلاث أو أربع مرات في اليوم. فماذا هم فاعلون حتى يوفقوا بين هذه الناحية الصحية المرضية وأداء واجب الصيام؟!. . لقد حل العلم الحديث هذه المشكلة لهم، وذلك بالأدوية طويلة المفعول. . مثل المضادات الحيوية والأدوية المضادة للتقلص، ومركبات السلفا، والأدوية المُدرَّة للبول، وأدوية الحساسية ومهدئات الأعصاب. . إن هذه المجموعة من الأدوية تمتاز بأن جرعة كل منها عبارة عن قرص واحد أو قرصين على الأكثر يمكن تناولهما بعد وجبتي الإفطار والسحور. .

(١) مجّلة «طبيبك الخاص» مقال للدكتور فاروق نبيه.

أما الفئة الثانية فهي تلجأ بعد تناول وجبة الإفطار بساعة تقريباً إلى تناول بل والتهام الأملاح الفوارة والأقراص المهضمة، كما يكثر الطلب على أدوية الكبد والإمساك والحساسية.. والسبب في هذا طبعاً لا يغيب عن الأذهان: الوجبات الدسمة والكميات المبالغ فيها من الأطعمة الخاصة برمضان مثل الكنافة والقطايف وغيرهما من المأكولات الغنية بالدهون والسكريات.. والواقع أن هؤلاء دواؤهم في أيديهم: هو عدم الإسراف في الأكل.. وبذلك يتلافون الإصابة بعسر الهضم والانتفاخ والحموضة وحرقان المعدة والصداع والإمساك أو الإسهال..

ولذلك فإنني أقول للكل: بدلاً من اللجوء إلى الأدوية في رمضان يمكن اختيار الأطعمة الخفيفة سهلة الهضم، والابتعاد بقدر الإمكان عن الدهنيات والسكريات، وتجنب الأكل بعد وجبتي الإفطار والسحور، والخروج من الصيام بوزن أقل من الوزن الطبيعي.. وبعد هذا لن تكون هناك حاجة لتعاطي كثير من الأدوية المرهقة للصحة والجيب.

ب ـ أسئلة وأجوبة صحية رمضانية[1]:

١ ـ ما هو أثر الصيام على الصحة؟..

قد يحمل شهر الصوم الراحة الصحية لكثير من المرضى، إلا أنه قد يبعث من جديد شكوى مرضية دفينة لدى من لا تحتمل آفته الصيام.. ولعل أثر الصوم على جهاز الهضم هو في طليعة ما يسأل عنه الطبيبُ الصائمَ في هذا الشهر المبارك... وقد أوضح ديننا الحنيف بصراحة يغلب عليها اليقين إذ قال: ﴿وَلَيْسَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ...﴾ وهو بهذا يؤكد عدم ضرورة فرض الصيام على المريض الذي يتأذى من هذا الواجب الديني المقدس.

---

(١) مجّلة «طبيبك» بقلم الدكتور منذر الدقاق.

أما بالنسبة للأصحاء، فإن الهضم الصحيح يأتي عن طريق الترتيب الصحيح لأوقات الطعام الجديدة. والشخص الذي اعتاد الفوضى في تناول طعامه خلال أيام السنة، يجد نفسه مضطراً لتنظيم أوقات طعامه خلال شهر كامل، وهو ما يسمح لجهاز الهضم أن يصلح الكثير من اضطراباته التي تراكمت طوال العام.

٢ ـ لماذا يصف الطبيب الصيام (الحمية) لبعض أمراض الهضم حيناً ويمنعه حيناً آخر؟:

بالوقت الذي يحذر فيه الطبيب المريض من الصيام في حالات محدودة معينة، فإنّه يوصي به وبضرورته في بعض أمراض المعدة...

وقد تبدو فائدة الصوم من الناحية الطبية لدى المصابين بالالتهابات الهضمية المزمنة وفي طليعتها الالتهاب المعدي المزمن وهو أول من يستفيد من هذا الفرض الديني، إذ إن الطعام يؤذي الالتهاب ويزيده في شتى الحالات. والصوم يحمل إلى هذه الشكوى راحة تمتد حتى الشهر... وتكون ذات أثر كبير في شفاء الالتهاب.

كما أن التهاب الأمعاء المزمن والتهاب الكولون المزمن يستفيدان من الصوم كثيراً... فإبعاد الغشاء المخاطي للأمعاء عن تماس الطعام مدة طويلة يرمم الخلايا الملتهبة ويقلل من إفرازاتها المرضية الكثيرة ويخفف سوائلها المخاطية ويقدم معونة أساسية في شفاء هذه الإصابات المعوية المزمنة.

أما أثر الصوم لدى مرضى الكبد فيختلف باختلاف وجبات الإفطار. فالمصاب بقصور كبدي يستفيد من الصوم، إذا ما كانت وجبة الإفطار معتدلة خالية من الثقل المعهود والطعام الدسم المعقد. أما إذا أفرط في إفطاره، فإن الصوم لا يحمل لمرضه أي نفع طبي.

وفي حالات التهابات الكبد المترافقة باليرقان، فإن الصوم شديد الضرر لصاحبه، لأنه يساعد على إذابة مدخرات الكبد من عناصر سكرية وشحمية، وهذه المدخرات تساعد كثيراً على ترميم الخلية الكبدية الملتهبة، ولذا كانت المعالجة بالغذاء الكامل الصحيح هو خير ما يستفيد منه الكبد المريض، وهو ما ليس متوفراً من خلال صوم شهر كامل.

كما أن للصوم أثراً متبايناً لدى المصابين بحصيات مرارية، فمنهم من يتأثر بالصوم ويستفحل مرضه فتكرر نوباته، ومنهم من تهدأ آلامه بالصوم. . . والحالة الثانية أغلب من الأولى فيما إذا لو تابع الصائم الحمية الغذائية التي اعتاد عليها قبل الصوم.

وفي بعض حالات التحسس، يستفيد المريض من الصوم ويساعد تقنين الأغذية على ذهاب الكثير من أعراض التحسس، إذ إن إراحة الجهاز الهضمي أمر أساسي للخلاص السريع من بعض حالات الشرى والحكة التي تنتج عن بعض الأغذية.

ولا شك أن الصوم يفيد المصابين بالسُّمنة، لأن الغذاء يأتي في مقدمة أسباب السمنة، ولا بد لحمية الصوم من أن تخفف شيئاً من وزن البدين الذي يشكو السمنة.

وإذا كان الصوم يفيد في شفاء حالات الالتهاب فإنه يزيد في آلام المصابين بالقرحة المعدية أو الاثني عشرية فيثيرها إذا كانت هاجعة. . إذ إن بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة ساعات طويلة، يجعل الإفراز المعدي الحامض يتراكم في جوف المعدة الفارغة، والإفراز الحامض يحتاج إلى معدل يبدد فعله وأذاه، وقد اعتاد المريض أن يستخدم الأطعمة في فترات متعددة من اليوم لتعديل الحموضة الزائدة لمعدته. . . وإذا ما

تتابع الإفراز الحامض في معدة فارغـة. . . ازدادت آلآم البطن واشتـدت وعادت نوبة القرحة الهضمية إلى أخذ شكلها الطبي المعروف.

كما يضر الصوم الأشخاص الناقهين من العمليات الجراحية الحديثة سيما من أجرى تداخلاً على أحد أقسام جهازه الهضمي كالمعدة والمرارة والأمعاء. . . وهؤلاء المرضى لا يستطيعون الصوم قبل مضي مـدة طويلة على إجراء المداخلات الجراحية، حتى يتاح لعضويتهم التعويض والترتيب الوظيفي للاضطراب الغريزي الذي لا بد وأن تتركه المداخلة الجراحية.

ومع ذلك فإنّنا نقـول: ينبغي لكلٍّ أصحـاب الحالات آنفـةِ الذِّكْـر استشارة أطبّائِهم المسلمين، الملتزمين بأحكام شرع اللّه العارفين بفقههِ.

٣ ــ كيف يستقبل جهاز الهضم الطعام عند الإفطار؟

من السهل على جهاز الهضم أن يتعود على ترتيب وقتي جديد، وإذا كانت الأيام الأولى من رمضان صعبة شاقة لدى الكثيرين. فلأن تطبُّع جهاز الهضم على شكل زمني جديد يحل هذه الصعوبة الموقتة. . لأن عضلات المعدة تتقلص من أثر الجوع في أوقات الطعام العادية. . . حتى إذا ما أتى الصوم، تقلصت في الأيام الأولى من رمضان دون أن يلبيها الصائم. . . ثم ما تلبث أن تعتاد على التقلص في ساعات الإفطار وتترك عادتها الأولى. . . لتأخذ عادة ثانية تحمل إليها الراحة المطلقة خلال ساعات طوال قد لا تقل أحياناً عن الخمس عشرة ساعة.

إلا أن لهذه الراحة المقصودة المفيدة محذوراً كبيراً يتمثل في إثقال المعدة دفعة واحدة وقت الإفطار مما يسبب تخمة ضارة قد تذهب بالفائدة الطبية للصوم، ولذلك كان الاعتدال في طعام الإفطار ضرورة طبية تلازم الصوم نفسه إذا تم.

٤ ــ ما هي الأطعمة المضرة بالصحة في رمضان؟:

إن الذي نلمحه في أول الأمر، هو أن جهاز الهضم معرض لنوع من

التعب الخاص في بلاد الشرق، حيث يختص الطعام الشرقي بصعوبة الهضم لثقله وكثرة الدسم فيه وتعقد أصول طبخه وتعدد أجزائه المخلوطة. . . وثقل هذا الطعام يحمل إلى جهاز الهضم عبأً شديداً خلال فترة مديدة من السنة حتى يأتي شهر رمضان فيقدم فترة راحة ضرورية لجهاز تعب.

وليس من السهل أن نذكر في مقال عابر الأطعمة المضرة بالصحة في رمضان، إلا أنه يمكن التأكيد على أن الإكثار من خلط الطعام، واختيار الثقيل منه، يمهد للاضطرابات الهضمية التقليدية وأولها التخمة.

ونقصد بخلط الطعام، تعدد أنواعه المتنافرة من حامضه وحلوه ومن دهنيِّه وزيتيِّه ومن مسلوقه ومقليِّه . . . كما نقصد بالطعام الثقيل. . . الطعام الصعب الهضم ويقع في مقدمته، الطعام الدسم والطعام المقلي، والبرغل، والحوامض، والتوابل والبهارات، ويجدر انتقاء الحلويات في رمضان وفق الطعام فلا تؤكل مثلاً حلويات القشطة بعد الطعام الدسم أو المقلي!.

٥ ـ نصائح لكل صائم عن كيفية الإفطار والسحور:

إن الجواب السابق يقدم بعض النصائح الغذائية للصائم. . على أن من شروط هذه القواعد الغذائية الأولى مضغ الطعام جيداً وعدم السرعة في تناول الإفطار خاصة. والامتناع عن بدء الإفطار بالتدخين أو بشرب القهوة. . . والتقليل من شرب الماء قبل وأثناء وبعد الطعام.

ويستحسن أن يكون السحور وجبة قصيرة خفيفة تختلف كل الاختلاف عن وجبة الإفطار لأن الوقت الذي يفرق بين موعد الإفطار وساعة السحور لا يكفي لهضم طعام الإفطار الثقيل كاملاً.

٦ ـ هل الصيام صحة[١]؟.

يتضح لنا من مختلف ما عرضناه بشأن الصوم، أن أثره العام في صحة الإنسان جيِّد... ويتباين هذا الأثر لدى الأصحاء والمرضى وفق طبيعة أجسامهم، ومدى استعدادهم الهضمي، ونوع العلة الهضمية التي يشكون منها إذا وجدت.

ولعل جهاز الهضم هو أكثر الأعضاء تأثراً بالصوم، فإذا كان هذا الواجب الديني ضرورة طبية في كثير من أمراض الهضم ليكسب الجسم الراحة والصحة والشفاء، فإنه في بعض الحالات المرضية يحمل إلى الجسم عناء مؤذياً، ولذا كانت التعاليم الشرعية تسمح بتجاوز هذا الواجب الديني في حالات مرضية محدودة.

على أن الصوم لدى الأصحاء قد يعني راحة ضروية لأجهزة غريزية تعبة إذا ما توفرت الشروط الغذائية الأساسية ومن أهمها تنظيم وحسن انتقاء الطعام لشهر رمضان.

جـ ـ فوائد طبِّيَّة أُخرى:

١ ـ صوم الإنسان السليم والمريض[٢]:

على الصائم أن يقي نفسه من الإسراف في الأكل الذي تعوده بعض الناس والذي يؤدي إلى مضاعفات خطيرة ليس من الضروري أن يلاحظها المريض في حينها، ولكنها تتراكم على مرور الوقت وتُحْدِث مضاعفات لا حصر لها. فالسكريات والنشويات والدهون الزائدة عن حاجة الجسم تؤدي إلى تصلب الشرايين وترسيب الدهون على جدران الأوعية الدموية الهامة

---

(١) أما حديث «صوموا تصحُّوا..» فلا يصحُّ!.

(٢) مجّلة «الحرس الوطني» السعودية، مقال للدكتور محمد صبري محروس.

التي تغذي القلب والكليتين والمخ مما يترتب عنها مضاعفات خطيرة. فتنظيم الأكل والحرص على تناول ما هو مفيد ولازم للجسم والاقتصار على الكميات اللازم تناولها لكي يستفيد الجسم منها.. كل ذلك يحقق فائدة الصوم وهي تخليص الجسم مما ترسب وتراكم فيه من دهون وينجو الجسم من المضاعفات الخطيرة.

أما إذا كان الصائم به مرض ويمكنه الصوم ولا يسبب له مضاعفات وهو ما يقرره الطبيب المسلم الأمين، فعلى المريض الصائم أن يراعي تعليمات طبيبه، ومن الأفضل أن يكون على صلة دائمة به. ولكنْ هناك أمراض يفضل أن يفطر فيها الصائم مهما كانت الحالة خاصة في الأمراض الحادة. مثل الالتهابات الرئوية وكل أنواع الالتهابات الحادة والحمى الروماتزمية والالتهاب الروماتويدي الحاد، ومريض السكر إذا كان السكر مرتفعاً، أو إذا كان يتناول الأنسولين لعلاجه. أما مرض ضغط الدم المنضبط بالعلاج فلا مانع من الصوم مع ملاحظة تعليمات الطبيب المعالج. وكذلك مريض مرض المعدة والإثني عشري فالفطر أفضل لهم حتى يشفوا من القرحة.

وهناك كثير من الأمرض المزمنة التي يلزم المريض فيها الفطر مثل: الفشل الكلوي، والدرن المزمن، وأمراض قصور الدورة الدموية، وأمراض تليف الكبد، وفشل الكبد، وفشل الجهاز التنفسي المزمن، كل هذه الأمراض المزمنة لا يقدر صاحبها على الصوم وعليه الكفارة إذ يتعذر القضاء فيها.

وهناك نصيحة خاصة لمريض السكر، الذي قرر له طبيبه الصوم، إذ عليه أن يعرف جيداً أعراض الانخفاض المفاجيء في نسبة السكر بالدم، وهي الإحساس بالتعب والعرق والارتباك العصبي والهبوط المفاجيء، وحينئذ ينبغي أن يتناول فوراً ودون تردد كوباً من الحليب المحلى بالسكر، ولا حجر عليه في ذلك، ثم يراجع طبيبه على الفور.

٢ ـ الصوم وتأثيره على الجسم[1]:

من الملاحظ أن معظم الصائمين تزداد أوزانهم وتترهل أبدانهم. فهل الصوم هو المسؤول عن ذلك؟.

لقد أجريت العديد من الدراسات حول تأثير الصيام بمكونات جسم الإنسان. وقد كانت النتائج غير متوقعة: فقد لوحظ حدوث تغيرات متشابهة في معظم حالات الدراسة من الصائمين. وهي عبارة عن انخفاض في الوزن وجميع المكونات الغذائية في الدم خلال الأسبوع الأول من شهر رمضان، مثل انخفاض مستوى السكر والدهون والكوليسترول في الدم، ولكن سرعان ما تعود إلى مستواها الطبيعي، ثم تبدأ في الارتفاع مع زيادة في الوزن بعد عشرة أيام من الصيام، وكانت المحصلة النهائية في نهاية شهر رمضان هي زيادة في الوزن عند معظم الصائمين قيد الدراسة والبحث، مع ارتفاع في مستوى جميع المكوّنات الغذائية في الدم.

وفي محاولة البحث عن أسباب ذلك، وما إذا كان الصوم هو المسؤول عن ذلك، تمت دراسة سلوكيات الصائم خلال شهر رمضان وخرجت الدراسات بالتفسيرات التالية:

ـ الصوم بريء من هذه الاضطرابات الغذائية التي تحدث خلال شهر رمضان، ولكن العادات الغذائية الحديثة هي السبب الأول. فعادة خلال الأسبوع الأول من الصيام تحدث اضطرابات في عادات الإنسان الغذائية والمعيشية، مثل اختلاف مواعيد الإفطار والسحور وأيضاً مواعيد النوم عن المألوف فينخفض الوزن في الأسبوع الأول.

---

(١) «مجلة الحرس الوطني» مقال للدكتور مصطفى السيد بري.

ـ بعد الأسبوع الأول تبدأ العوامل الغذائية والمعيشية في الاستقرار وتعمل جميع هذه العوامل على تحسن حالة الصائم الغذائية والمعيشية فيبدأ وزنه في الزيادة.

ـ انخفاض ساعات العمل في رمضان، يقلل الجهد المبذول في العمل.

ـ قضاء بقية اليوم إما في النوم حتى قبيل الإفطار، حتى لا يشعر الصائم بمشقة الصوم، أو الجلوس أمام التلفزيون (!) لقضاء الوقت في راحة وكسل.

ـ تناول وجبة الإفطار بكميات كبيرة وأطعمة كثيرة وغنية بالمواد الغذائية، وأيضاً الحرص على تناول وجبة السحور وبكميات كبيرة أيضاً حتى لا يشعر الصائم بالجوع طوال يومه. ولا يقتصر الصائم على ذلك، ولكن يستمر في تناول الحلوى والفاكهة ما بين الإفطار والسحور، وخاصة الحلوى المكدسة بالمكسرات العالية القيمة الغذائية.

ولقد ثبت أن معدل استهلاك المواد الغذائية عامة خلال شهر رمضان أكثر من أي شهر آخر، وهذه الزيادة في الاستهلاك تُترجم بصورة مباشرة إلى زيادة في أوزان معظم الصائمين.

والخلاصة إن سبب هذه التغيرات التي تحدث في شهر رمضان حديثاً تتلخص في هذه المعادلة البسيطة:

غذاء أكثر + جهد أقل = زيادة في الوزن.

لذلك نجد أن الصوم ليس هو المسؤول عن هذه الاضطرابات، ولكنها العادات الغذائية التي تحدث في هذا الشهر الكريم. وأيضاً الركون إلى الراحة والخمول.

فيجب عليك ـ أخي الصائم ـ أن تقوّم عاداتك الغذائية خلال هذا الشهر الكريم وتحاول أن تنقص مما تراكم على بدنك من شحوم طوال العام وتجعل الصوم لا يقتصر على الفترة المحددة من السحور إلى غروب الشمس ولكن بتناول القدر المعقول من الغذاء، وعدم الركون إلى النوم والخمول وقضاء الليل فيما لا ينفع.

وعليك بقيام الليل والاستزادة من العبادات كالصلاة وقراءة القرآن الكريم، لتزيد قيمة صومك وعملك، وتقلل وزنك، والدهن المتراكم على جسمك، فتكون بذلك ظفرت بالأجر العظيم والجسم السليم.

٣ ـ الصيام والمريض بالحُمَّى[١]:

هناك حقيقة علمية وطبية تقرر بأنه ليس هناك من تأثير يذكر للصيام على درجة حرارة الإنسان الطبيعية أو غيرها مثل النبض وضغط الدم ونسبة الهيموجلوبين في الدم والتمثيل الغذائي ووظائف الكبد المختلفة، فقد اتضح للعلماء والأطباء بعد إجراء العديد من أبحاثهم العلمية والطبية المختلفة أن نتائج هذه الفحوص على الصائمين تتميز بأنها في المعدل الطبيعي لدى الأشخاص غير الصائمين.

وهناك العديد من الأمراض أو الوعكات الصحية التي يصاب بها الصائم والتي قد يصاحبها ارتفاع بسيط في درجة الحرارة مثل نزلات البرد أو النزلات الشعبية الخفيفة، أو قد يكون الارتفاع في حرارة الجسم أكثر وضوحاً كما مر في الإنفلونزا، ففي تلك الوعكات ينصح الطبيب أولاً بأخذ قسط وافر من الراحة وعدم الإجهاد مع تناول بعض العقاقير البسيطة المخففة لمظاهر هذه الحالات وبما يتناسب مع أوقات الإفطار. أما إذا كان

---

(١) «مجلة الحرس الوطني» مقال للدكتور محمد زكي الديب.

الارتفاع في درجة الحرارة بصورة واضحة فيمكن التغلب عليه باستعمال المكمدات الباردة.

وفي وقت الإفطار ينصح دائماً بالإكثار من شرب المياه والسوائل وتناول الأغذية الخفيفة والمغذية.

أما عن بعض الأمراض المزمنة مثل الحمى المالطية، التي قد يصاحبها ارتفاع طفيف في درجات الحرارة، والتي تتميز بوصف العلاج لها لفترات طويلة، فإن الطبيب المختص، وتبعاً لحالة المريض الصحية، كثيراً ما يسمح له بالصيام وفقاً لما يرتئيه من الأنظمة العلاجية المناسبة لكل حالة، وربما لا يؤثر في المنهج العلاجي الصحيح للوصول إلى الشفاء بإذن الله تعالى من تلك الأمراض.

وبالنسبة لأمراض الحميات الشديدة مثل الحمى التيفودية ومرض الكزاز (التيتانوس) فهي كغيرها من الأمراض الأخرى كأمراض القلب والكلى المتقدمة، فموقف ديننا فيها بيّنٌ وواضحٌ، فهو دين يسر لا عسر فيه، أباح للمريض الإفطار على أن يعوض ذلك بعد شفائه، متمثلاً في قول الله تعالى: **﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**.

٤ ـ الصوم.. وفوائده للجلد[١]:

لا تقتصر فوائد الصيام على الناحية الدينية والروحية فقط، بل تتعدى ذلك إلى الناحية البدنية والصحية، فالصيام الذي يعني الانتظام في المأكل والمشرب وتحديد مواعيد تناول الطعام، وعدم الإفراط في تناول الغذاء مفيد جداً في علاج كثير من الأمراض الجلدية مثل: أمراض البشرة الدهنية

---

(١) «مجلة الحرس الوطني» مقال للدكتور معين عوني القيثاوي.

التي تحدث نتيجة للإفراط في تناول المواد الدهنية والسكريات والنشويات. وهذه الأمراض قد تكون حادة مثل الأكزيما الدهنية أو مزمنة مثل الالتهاب الجلدي الدهني. وقد تظهر على تلك القاعدة الدهنية أمراض جلدية مثل حب الشباب والوردية والدمامل المتعددة والتهاب بصيلات شعر الذقن والرقبة عند الرجال.

كما يفيد الصوم أيضاً مرض الحساسية الغذائية التي تحدث نتيجة لتسرّب بعض الأطعمة غير المهضومة هضماً كاملاً إلى الدورة الدموية، أو نتيجة لتداخل المواد البروتينية بعضها ببعض، أو تناول أطعمة بعينها خاصة بشهر رمضان مثل قمر الدين والمكسرات والحلويات والفواكه المجففة مما يؤدي إلى استثارة جهاز الجسم المناعي وحدوث أعراض وعلامات الحساسية مثل الأرتكاريا والأكزيما بأنواعها والربو والمغص وتورم أجزاء معينة من الجلد أو الأغشية المخاطية.

كذلك يفيد الصيام في علاج أمراض الصدفية والبهاق والثعلبة والأورام الجلدية الصفراء والتي تنتج عن تراكم الدهنيات بالجلد والنسيج تحت الجلدي نتيجة للزيادة غير الطبيعية في تركيز أو تركيب الدهون والكوليسترول في الدم.

ومن ناحية أخرى فهناك بعض الأمراض الجلدية التي تحتاج إلى علاج متصل وبالتالي ينصح الطبيب المريض بها بالإفطار ومنها: مرض الجذام، ومرض السل الجلدي، وكذلك مرض نقص التغذية والبلاجرا، وكذلك المصابون بالأمراض الجلدية الخطرة مثل الالتهاب الجلدي الحاد والحمرانية وأمراض الجلد الفقاعية ومرض الذئب الأحمر الحاد والمنتشر ومرض التقشر الجلدي المصحوب باحمرار شديد وغيره من الأمراض الجلدية الحادة والراشحة.

ويحدد الطبيب المسلم للمريض ما للصيام من انعكاسات إيجابية على صحة الإنسان، إذا ما تمسك الصائم بالتعفف وعدم الإسراف في تناول المواد الدهنية والنشوية تجنباً للتخمة ووقاية له من كثير من الأمراض الجلدية.

١٧ ـ هَدْيُهُ ﷺ في صلاة التراويح[(١)]

إنّ لصلاةِ التراويح في رمضان حِكَماً عدّة، منها حكمةٌ غـابت عن الكثيرين وهي:

تدريبُ المسلمين على الصبر والثباتِ بالوقوفِ ساعاتٍ طويلة كُلَّ ليلةٍ بـوضعيّاتٍ مختلفـةٍ، كُلّ ذلـك من مُسْتَلْزَمـات المسلم القـويّ استعـداداً للطوارىء، وتمريناً على الحراسة ليلاً ونهاراً.

روىٰ الإمامُ مالكٌ في «الموطّأ» عن السائب بن يزيد أنّه قال: «أمَرَ عُمر بن الخطّاب أُبيَّ بن كعب وتميماً أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان القارىء يقرأ بالمِئيـن ـ أي مئات الآيات ـ حتى كُنّا نعتمر على العصيّ من طول القيام، وما كُنّا ننصرف إلّا في بزوغ الفجر»، وسنده صحيح جداً.

وكان لهذه التربية العسكرية للمسلمين ـ جـوع وعطش في النهـار، وقيام في ساعات طويلة في الليل ـ أثرها العظيم في إعداد جيل قوي مؤمن كانت له القدرة على الفتح الإسلامي المبين، والقضاء على امبراطوريتي روما وفارس وقد نال الجندي المسلم إعجاب قادة العالم، حتى قال القائـد الألماني بسمارك: أعطوني عشرة آلاف مسلم أفتح لكم بهم العالم.

---

(١) شرع الإسلامُ صلاةَ التراويح جماعةً في رمضان. وقد صلّاها المسلمون مع رسول الله ﷺ أياماً من رمضان ثم امتنع عن الصلاة معتذراً بقوله: «يا أيّها الناس والله ما بتُّ ـ والحمـدُ للّهِ ـ ليلتي هذه غـافلاً، ومـا خفي عَلَيَّ مكـانُكمْ، ولكن خشيتُ أن تُفـرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها».

وقد أهمل أكثر المسلمين ـ ويا للأسف ـ هذه الحكمة من صلاة التراويح فجعلوها سريعة تقضى بعشر دقائق تقريباً، فلا وقوف ولا ركوع ولا سجود باطمئنان كما ينبغي كما أمر الإسلام.

وإني أعتقد أن أكثر هذه الصلاة غير مقبولة، وذلك إذا طبقنا عليها حديث رسول الله ﷺ للمسيء صلاته المشهور فقد قال له الرسولُ لما شاهد من سرعته وعدم اطمئنانه في الصلاة: «صلِ فإنك لم تصل».

عددُ ركعات التراويح:

لم يُصَلِ النبيُّ ﷺ التراويح أكثر من إحدى عشرة ركعة مع الوتر:

فعن أبي سَلَمة بن عبدالرحمٰن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: «كيف كانت صلاةُ رسول الله عليه الصلاة والسلام في رمضان؟».

فقالت: ما كان رسولُ الله عليه الصلاة والسلام يزيدُ في رمضانَ ولا في غيرهِ على إحدى عشر ركعة.. يصلي أربعاً، فلا تسل عن حُسنهن وطولهنَ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حُسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً (أي الوتر). رواه البخاري ومسلم وأبو عَوانة «صحاحهم» وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك وأحمد.

ضَعْفُ حديث العشرين ركعةً:

وحديثُ العشرينَ ركعة ضعيفٌ جداً لا يجوزُ العمل به، فقد جاء في «الفتح» تحت شرح الحديث الأول: «وأما ما رواه ابنُ أبي شيبة من حديث ابن عباس كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر، فإسنادهُ ضعيف[1] وقد عارَضَه حديثُ عائشة هذا الذي في «الصحيحين» مع

---

(١) بل ضعيف جداً، كما سيذكره السيوطي فيما يأتي عنه.

كونها أعلمَ بحال النبي عليه الصلاة والسلام ليلاً من غيرها، وسبقه إلى تضعيفه الحافظ الزيلعي في «نصب الراية».

وقال السُّيوطي: إنه ضعيف جداً كما في «الحاوي للفتاوي»، وكذلك قال الفقيه الهَيْتَمي في كتابه «الفتاوى الكبرى» وعلته أن فيه شيبة بن إبراهيم بن عثمان، قال الحافظ في «التقريب»: «متروك» أي ضعيف جداً.

التزامُ سُنّته عليه الصلاة والسلام:

واقتصارُ رسول الله عليه الصلاة والسلام على الإحدى عشرةَ ركعةً طوالَ حياته لا يزيدُ على هذا العدد، سواءٌ في رمضان أو غيره، دليلٌ على عَدَم جواز الزيادة عليه. فإنّنا إذا تذكرنا السُّنَن الرواتب وغيرها كصلاة الإستسقاءِ والكسوفِ، التزم فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام عَدَداً مُعيناً من الركعات، وكان هذا الالتزامُ دليلاً مُسَلماً به عند العلماء على أنه لا يجوزُ الزيادةُ عليها، فكذلك صلاة التراويح لا يجوزُ الزيادةُ فيها على العدد المسنون لاشتراكِها مع الصلوات المذكورة في التزامهِ عدداً معيناً فيها لا يزيدُ عليه، فمن ادّعى الفرق فعليه الدليلُ، ودون ذلك خَرْطُ القَتَادِ.

وليستْ صلاةُ التراويح من النوافل المطلقةِ حتى يكونَ للمصلي الخيارُ في أن يُصَلّيها بأي عدد شاء، بل هي سنةٌ مؤكدة تشبه الفرائض من حيثُ إنها تشرع مع الجماعة.

إحياء عُمر لسنة الجماعة والتراويح بإحدى عشرة ركعة:

استمرّ الناسُ بعد وفاته ﷺ على أداء صلاة التراويح في المسجد أوزاعاً (أي متفرّقين) وراء أئمة متعدّدين، وذلك في خلافةِ أبي بكر وصَدْرٍ من خلافة عمر رضي الله عنهما، ثم جَمَعهم عمر وراءَ إمامٍ واحدٍ، وقال بهذه المناسبة: «نعمت البدعة هذه».

وقد شاعَ بين المتأخّرين الاستدلالُ بقول عمر هذا على أمرين اثنين:

الأول: أنّ الاجتماعَ في صلاة التراويح بدعةٌ لم تكن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام! وهذا خطأ فاحش سَبَقَ بيانهُ.

الثاني: أنّ في البدعة ما يُمدح، وخصّصوا به عمومَ قوله ﷺ: «كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار» ونحو ذلك من الأحاديث الأخرى!.

وهذا باطلٌ أيضاً فإنّ قولَ عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» لم يقصد به البدعة بمعناها الشرعي الذي هو إحداثُ شيء في الدين على غير مثال سابق، لِمَا علمتَ ممّا تقدّم أنه رضي الله عنه لم يحدث شيئاً، بل أحيا أكثرَ من سنة نبوية كريمة، وإنّما قصد البدعة بمعنىً من معانيها اللغوية، وهو الأمرُ الحديثُ الجديدُ الذي لم يكن معروفاً قُبَيل إيجادِهِ وممّا لا شكّ فيه أنّ صلاةَ التراويح جماعةً وراء إمام واحد لم يكن معهوداً ولا معمولاً به زَمَنَ خلافةِ أبي بكر وشطراً من خلافة عمر كما تقدم، فهي بهذا الاعتبارِ حادثةٌ، ولكنْ بالنظر إلى أنّها موافقةٌ لِمَا فَعَلَه النبيُّ عليه الصلاة والسلام فهي سُنَّةٌ، وليست بدعةً، وما وَصَفَها بالحُسْنِ إلا لذلك.

وعلى هذا جرى العلماءُ المحقّقون في تفسير قول عمر هذا، فقال التاج عبدالوهاب السُّبكي في «إشراق المصابيح في صلاة التراويح» من «الفتاوى»:

«قال ابنُ عبدالبر: لم يَسُنّ عُمَرُ من ذلك إلّا ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وقال العلّامة ابنُ حَجَر الهَيْتَمي في «فتاواه» ما نصّه نقلاً عن كتاب «الإبداع في مضار الإبتداع» ص (٢٢ ـ ٢٣):

«وقولُ عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نعمت البدعة هذه»،

أرادَ البدعة اللغوية، وهو ما فُعل على غير مثال كما قال تعالى: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعَاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ وليست بدعة شرعية، فإن البدعة الشرعيةَ ضلالةٌ كما قال عليه الصلاة والسلام.

وقد سبق أمرُ عمر بالإحدى عشرة ركعة بالإسناد الصحيح.

لم يثبت أن عمر صلاها عشرين ركعة:

وهناك بعضُ روايات تقولُ: إنّ الناس كانوا يقومون في زمن عمر في رمضان بثلاث وعشرين ركعة ولكنْ شيئاً منها لا يصحُّ (ففي رواية فيها خُصيفة وهو منكر الحديث كما قال الإمام أحمد، وقد خالفه من هو أوثق منه، وهو محمد بن يوسف، فذكر أنّ عدد الركعات إحدى عشرة. وفي بعضها انقطاعٌ بين يزيد بن رومان وعمر). وقد ضعّفها البيهقيُّ ثم النوويُّ، وقد أشار الإمامُ الشافعيُّ في «مختصر المزني» والترمذي في سننه إلى تضعيف رواية العشرين عن عمر وغيره من الصحابة. ووروُدُ إحداها في الموطإ لا يُقَوِّيها ولا سيّما وقد روى الروايةَ المخالفةَ لها. وفي بعضِها الحارثُ عبدالرحمن بن أبي ذُبَاب وهو ضعيف.

سُنّة النبيِّ أحقُّ أن تُتَّبَع صلى الله عليه وآله وسلم:

ولَوْ فرضَ أن أحداً لم يقتنع بضعف عدد العشرين عن عمر، وهذا بعيدٌ جداً عن العالم المُنْصفِ، أو فَرَضْنا أن أحداً جاءنا برواية صحيحةٍ عن عمر بالعدد المذكور، وهذا أبعدُ من الأول! فإنّنا نقولُ: إنه لا يلزم من ذلك التزامَ العمل بهذا العدد بحيث يُهجر العمل بما ثبت عن النبي ﷺ من إحدى عشرة ركعة، فضلاً عن أن يعتبر العامل بهذه السنّة خارجاً عن الجماعة...

المخالفات في صلاة التراويح اليوم:

أولاً: الزيادة على عدد ركعاتها وهي إحدى عشرة كما سبق، وخيرُ الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: الإسراعُ فيها، فإنّ أكثر أئمة المساجد يُخَفِّفون القراءة في هذه الصلاة إلى درجةٍ أنّه لو قيل لهم: زيدوا في التخفيف لَمَا وَجَدوا إلى ذلك سبيلاً إلا أن يتركوا القراءة مطلقاً بعد الفاتحة أو أن يقتصروا في أحسن الاحتمالات على مثل آيةِ ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾! وقد بَلَغَنا أنّ بعضَهم فعل ذلك!! فقال له بعضُهم متهكماً ألا تكفي مدهامّة واحدة؟! وهذه الفاتحةُ التي يقرؤونها فإنّهم قد أضاعوا طلاوتَها وحلاوَتها لشدة السرعة التي يقرؤون بها حتى إنّ الكثيرَ منهم ليأتون عليها بنَفَس واحد خلافاً للسنة التي تنصّ أنه ﷺ كان يقرؤها آية آية كما في «السنن» بإسناد صحيح.

ولقد كان النبي عليه السلام يُطيل القراءةَ في صلاة التراويح، كما أوضحت عائشةُ صلاته بقولها: «يُصَلّي أربعة فلا تسل عن حُسنهن وطُولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حُسنهن وطُولهن ثم يصلي ثلاثاً».

وجرى على هذا النَّسَق مَنْ جاء بعدَه من السلف، فقد ثبت أنّ الإمام في عهد عمر رضي الله عنه كان يقرأ بالمئات من الآيات.

ثالثاً: تخفيفُ الأركان وترك التسوية بينها. ولئن وُجد في أولئك من الأئمة من يطيل القراءة بعضَ الإطالةِ، فإنهم قد اتفقوا جميعاً مع الأخف على الإعراض عن تسوية الأركان والمقادير بينهما وبين القيام، والركوع، والقيام بعده، والسجود، والجلوس بين السجدتين مع أن سُنّته تلك ثابتةٌ في أحاديث كثيرةٍ في «الصحيحين» وغيرهما، ومن أشهرها حديث الأعرابي المعروف بالمسيء صلاته. وخلاصتُه أنّ هذا الأعرابي صلّى في مسجده عليه السلام وهو ينظرُ إليه، وأساء في صلاتِهِ حيث لم يطمئنّ في الأركان

التي ذكرناها سابقاً، ثم جاء إلى النبي عليه السلام، وسلّم عليه، فقال له ﷺ: «وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل» ثم عاد فصلّى كما صلى أول مرة ثم أتى النبيّ ﷺ فأعاد عليه كلامَه السابق وهكذا ثلاث مرات، في كل مرة يسيء صلاته ثم يأمرُهُ ﷺ بإعادتها ثم قال الأعرابي: «والله يا رسولَ الله لا أحْسِنُ غيرها فعلِّمْني».

فَأَمَرَه بأشياءَ منها الاطمئنانُ في الأركانِ السابقةِ.

وقد روى البخاري عن البَرَاء بن عازب رضي الله عنه أنه قال:

«كان ركوعُهُ ﷺ وجلوسُه بين السجدتين، وإذا رفع من الركوع (ما خلا القيام والقعود) قريباً من السواء».

وكان عليه الصلاة والسلام أحياناً يُطيل القيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين حتى يقول القائل قد نسي.

وكان يُكثر التسبيح في الركوع والسجودُ يُكَرِّرها ثلاثاً فأكثر ورأى رسولُ الله ﷺ رجلاً لا يُتمّ ركوعَه، وينقر في سجوده، وهو يُصَلّي فقال: «لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملّةِ محمد. ينقرُ صلاته كما ينقر الغرابُ الدّمَ». رواه أبو يعلى والآجري والبيهقي والطبراني وغيرهم بإسناد حسن.

رابعاً: تفرّق المسلمين في صلاة الوتر في أكثر المساجد بسبب اختلاف مذاهبهم، فإنّ بعضُهم يرى الفصل بين الشفع والوتر، وبعضهم يرى الوصل ويَحْكُمُ ببطلان الوتر في الفصل، وبعضهم يقنتُ قبل الركوع وبعضُهم بعد الركوع. كل ذلك بسبب عدم رجوعهم في خلافهم إلى السنة وهَدْي السلف الصالح. فقد ثبت القنوتُ قبل الركوع وبعده. كما ثبت الوَصلُ والفصلُ، وإن كان الفصلُ أفضلَ والأحاديثُ فيه أكثرَ، ولذلك فلا يجوز جعلُ الخلافِ المذهبيِّ سبباً للتفريق بين المسلمين.

ويُمكن للحَنَفي الاقتداءُ بالإمام الشافعيِّ أو العكس في صلاة الوتر على أن يصلي الإمام ركعتين، ثم ركعة، وليس على أن يقرأ دعاء القنوت فإنه غيرُ واجب. وبذلك تكون كيفيةُ صلاة الوتر متفقةً مع المذهَبَيْن..[1].

---

(١) عن رسالة «صلاة التراويح» باختصار.

وانظر «الكشف الصريح عن أغلاط الصابوني في صلاة التراويح» و«المصابيح في صلاة التراويح» للسيوطي، كلاهما من تأليف وتحقيق علي حسن علي عبدالحميد.

١٨ ـ أذان الفجر في رمضان

للفجر أذانانِ، أذانٌ قبلَ دخول وقتِهِ، وأذانٌ في وقته. ويُشرع التثويب في الأذان الأول للصبح الذي يكونَ قبلَ دخوله بقليلٍ لحديث ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: «كان في الأذان الأول بعد الفلاح: الصلاةُ خيرٌ من النوم مرتين» وإسناده حسن كما قال الحافظُ. وفي حديثٍ رواه أبو داود والنسائي وغيرُهم بإسناد جيد: «وإذا أذّنت الأول من الصُّبح فقل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم».

ومما يُؤسَف له أنّ المسلمين ـ أكثرَ المسلمين ـ قد ابتدعوا في أذانِ الفجر الأمورَ التاليةَ:

١ ـ منهم من جَعَل التثويب في الثاني، مع أنه في الأذان الأول كما رأيتَ من الأدّلة ممّا أضاع الحِكْمَةَ منه وهي دعوةُ النائم إلى اليقظة والمسارعة إلى المسجد.

٢ ـ ومنهم من جعل التثويَب في الأذانين معاً ممّا أضاع الحكمةَ أيضاً وَشَوَّش على المُصَلِّين، فلا يُمَيِّزون بين الأذان الأول والأذان الثاني، وبخاصة في رمضان. وقد جعلوا الأذان داخلَ المسجد مما لا فائدة منه.

٣ ـ ومنهم من سمّى الأذان الأول الإمساكَ ويزعُمون أن من الواجب على الصائم أن يمتنع عن الطعام فيه. وهذا خطأٌ فاحشٌ:

قال النبي ﷺ: «لا يمنعنّ أحدَكم أذانُ بلال سَحورَه فإنّه يؤذّن بليل» أو قال: «ينادي بليل، لِيُرْجعَ قائمَكم ويُوقظَ نائمَكم وليس الفجر أن يقول هكـذا» ـ وجمعَ بعضُ الـرواة كفّيـه ـ «حتى يقـولَ هكـذا: ومـدّ أصبعيـه السبّـابتين». وفي رواية: «هـو المعتـرضُ، وليس المستـطيـل». أخـرجـه البخاري ومسلم وأبو داود.

ومعنى لِيُرجع قائمكم، القَائم: هو الذي يُصَلّي صلاة الليل، ورجوعُه عن صلاته: إذا سمع الأذان.

وقـال النبي ﷺ: «إنّ بلالاً يؤذّن بليـل، فكُلُوا واشربـوا حتى يُنادي ابن أم مكتوم». رواه البخاري ومسلم.

٤ ـ ومنهم مَنْ جَعَلَ الزمـن بين الأذانين ساعةً. مع أنّه لا ينبغي أن يزيدَ على ربع ساعة فقط، خشيةَ ضياعِ الحكمة. وحَذَرَ نومِ المستيقظِ بسبب طول الزمن.

ومنهم من جعـل أذانين للفجر في رمضـانَ فقط، وأذاناً واحـداً في غيره واستعاضوا عن الأذان الأولِ ببدعة التسابيح...

١٩ ــ هَدْيُهُ ﷺ في العشر الأواخرِ من رمضان

في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت. «كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر شدّ مِئْزَرَه وأحيا ليله وأيقظ أهله». هذا لفظُ البخاري. ولفظ مسلم: أحيا الليل، وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المِئْزَرَ.

وفي رواية لمسلمٍ عنها قالت: كان رسوُل الله صلى الله عليه وآله وسلم يجتهدُ في العشر الأواخر ما لا يجتهدُ في غيره. كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخصُّ العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملُها في بقية الشهر، فمنها إحياءُ بعض الليل.

ويؤيِّدهُ ما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أعلمهُ ﷺ قام ليلةً حتى الصباح[١]...

وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يطرُقُ بابَ فاطمة وعلي ليلاً فيقول لهما: «ألا تقومان فَتُصَلِّيان» وكان يُوْقِظُ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر.

وَوَرَدَ في الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة، ونَضْح الماءِ في وجههِ حديثٌ صحيحٌ.

---

(١) من هذا الحديث تُدرك خطأ من يقومُ الليلَ كله، فإنّه مُضْعِفٌ للجسم. وهو خلافُ هديه ﷺ.

وفي «الموطأ» أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُصَلّي الليل ما شاء الله أن يُصَلّي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾**[1].

وكانت امرأةُ حبيبٍ أبي محمدٍ تقولُ له بالليل: قد ذهب الليلُ وبين أيدينا طريقٌ بعيدٌ، وزادُنا قليلٌ وقوافلُ الصالحين قد سارت قُدَّامَنا ونحن بقينا.

يا نائمَ الليلِ كم ترقدُ	قُم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخُذ من الليل وأوقاتِهِ	وِرْداً إذا ما هَجَع الرُّقَّدُ
مَنْ نام حتى ينقضي ليلُهُ	لَم يَبْلُغ المنزلَ أو يُجْهَدُ
قُل لذوي الألبابِ أهلِ التُّقى	قنطرةُ العَرْضِ لكم مَوْعِدُ

ومنها: أنّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يشدّ المِئْزَر. واختلفوا في تفسيرهِ: فمنهم من قال: هو كنايةٌ عن شدّة جدّهِ واجتهادِهِ في العبادة، كما يُقال: فلان يشدّ وَسَطَه ويسعى في كذا، وهذا فيه نظرٌ؟ فإنّها قالت: جدّ وشدّ المئزر، فعطف شدّ المئزر على جَدِّهِ.

والصحيحُ أنّ المراد اعتزالهُ للنساء، وبذلك فسّره السلف والأئمة المتقدمون، منهم سفيان الثَّوْري، وقد ورد ذلك صريحاً من حديثِ عائشة وأنس، وَوَرَد تفسيرُه بأنه لم يَأْوِ إلى فراشِه حتى ينسلخ رمضان، وفي حديثِ أنس: وطوى فراشه واعتزلَ النساءَ، وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم غالباً ما يعتكفُ العشر الأواخر.

والمعتكفُ ممنوعٌ من قُربان النساء بالنَّصِّ والإجماع، وقد قالت طائفةٌ

---

(١) سورة طه: الآية ٣٢.

من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1] إنه طَلَبُ ليلةِ القدر. والمعنى في ذلك: أنّ الله تعالى لمّا أباح مباشرة النساءِ في ليالي الصيام إلى أن يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود أَمَرَ مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجُّد من الليل، خصوصاً في الليالي المرجوّةِ فيها ليلةُ القدر، فمن هنا كان النبيُّ ﷺ يُصيب من أهله في العشرين الأولين من رمضان، ثم يعتزلُ النساء. ويتفرّغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي سعيد الخُدْري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تُواصلوا، فإيكم أراد أن يُواصل فليواصِل إلى السَّحَر». قالوا: فإنّك تواصل يا رسولَ الله؟ قال: «إنيّ لستُ كهيئتِكم، إنّي أبيتُ لي مُطْعِمٌ يُطعمني، وساقٍ يسقيني».

وفي «الصحيحين» عن عائشَة رضي الله عنها: أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكفُ العَشْرَ الأواخِرِ من رمضان.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعتكفُ في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العامُ الذي قبض فيه اعتكف عشرين».

وإنما كان يعتكفُ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذه العشر التي كان يطلبُ فيها ليلة القدر، قطعاً لإشغالِه، وتفريغاً لبالِه، وتخلّياً لمناجاة ربِّهِ، وذكره ودعائه، وكان يحتجزُ حصيراً يتخّلىَ فيها عن الناس، فلا يخاطبهم، ولاَ يُشْغَلُ بهم.

وإنما يكون في المساجد، لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها[1]. . .

وقد ورد تخصيص المساجد أنها «الثلاثة» كما صحّ عن حذيفة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا اعتكاف إلاّ في المساجد الثلاثة»[2].

---

(١) «بغية الإنسان في وظائف رمضان» للحافظ ابن رجب الحنبلي باختصار. منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

وبمناسبة هَدْيِهِ ﷺ في العشر الأواخر من رمضان نعجبُ من أنصار الخلوةِ أنّهم يحاولون إثباتَ شرعيّتها من خلوة الرسول ﷺ في غار حراءَ قبل البعثة. وقد جَهِلُوا أو تجاهلوا أننّا لا نتعبّد بأفعال ﷺ قبل البعثةِ بل بعدَها. وبخاصة إذا علمنا متحققين أنه ﷺ كان مضطراً إليها ليفكّر في حال قومه ويبتعد عن مشاهدة شَرَرِهِم وآثامهم.

ولم يمارس هذه الخلوةَ بعد البعثة مطلقاً إنما كان الاعتكافُ دينَه في الأواخر من رمضان. وشتّان بين الخلوة والاعتكاف؟.

(٢) ويُراجع لتحقيق المسألة رسالة «الإنصاف في أحكام الاعتكاف» للأخ علي حسن علي عبدالحميد.

٢٠ ـ ليلةُ القدْر

فضلُهـا:

ليلةُ القدر أفضلُ ليالي السنة لقوله تعالى: ﴿**إنّا أَنْزَلْنَاهُ**[١] **في لَيْلَةِ القَـدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ. لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**[٢]﴾ أي العمل فيها، من الصلاة والتلاوة، والذِّكْرِ، خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ، ليس فيها ليلة القدر.

استحبابُ طَلَبها:

ويُستحب طلبُها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان فقد كان النبيُّ ﷺ يجتهدُ في طَلَبها في العشر الأواخر من رمضان.

وتقدّم أنّه إذا دخل العشرُ الأواخرُ أحيا الليلَ وأيقظه أهله وشدّ المئزر.

أيُّ الليالي هي؟:

للعلماء آراءٌ في تعيين هذه الليلة:

وأكثرهُم على أنها ليلةُ السابع والعشرين.

---

(١) أي القرآن: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فيهِ القُرْآنُ**﴾.

(٢) وقال تعالى: ﴿**إنّا أنزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إنّا كُنّا مُنْذِرينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمرٍ حَكيمٍ**﴾ وقد أجمع المفسرون الثقات أنّ هذه الليلةَ هي ليلة القدر في رمضان.

فأين هذا مما جاء في دعاء نصف شعبان الموضوع المُبتَدع أنّ هذه الليلةَ هي ليلة نصف شعبان... إنّه كذبٌ وزور كما قال كثيرٌ من شيوخ الأزهر والمُفتين.

روى أحمدُ ـ بإسنادٍ صحيحٍ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان مُتَحَرِّيها فليتحرَّها ليلة السابع والعشرين».

وروى مسلمٌ، وأحمد، وأبو داود، والترمذي ـ وصحّحه ـ عن أُبَيّ بن كعب أنه قال: «واللَّهِ الذي لا إِله إلا هو. إنّها لَفي رمضانَ ـ يحلف ما يستثني ـ وواللَّهِ إنّي لأعلمُ أيَّ ليلةٍ هي، هي الليلةُ التي أَمَرَنا رسولُ الله ﷺ بقيامها، هي ليلةُ سبع عشرين، وأمارتُها أن تَطْلُعَ الشمسُ في صبيحةِ يومها، بيضاءَ لا شُعاعَ لها».

قيامُها والدعاءُ فيها:

روى البخاريُّ ومسلمٌ، عن أَبِي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدرِ إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه».

وروى أحمدُ، وابنُ ماجه، والترمذي ـ وصحّحه ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! أرأتَ إن علمتُ، أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدر. ما أقولُ فيها؟ قال: «قولي: اللهمّ إنك عفوٌّ تحب العفو فاعْفُ عني»[1].

* * *

ليلة القدر أنت خير الليالي	قد كساك الإله ثوب الجلال
أنزل الله فيك ذكراً حكيماً	صدعت آية قلوب الجبال
أنت خير من ألف شهر فطوبى	للذي بات ضارعاً بابتهال
ليلة لم تزل لكل منيب	رحمة بابها بلا إقفال
ليلة قد تنزل الخير فيها	فاغتنمها بصالح الأعمال
وبها الروح قد تنزل نوراً	أين من نوره كنوز اللآلي؟!
قبس الوحي قد تبدى جليّاً	للرسول الكريم خير الرجال

---

(١) وإسناده صحيح كما قال محقق «المشكاة».

يـا نـداء السماء هـذا حبيب	في أعالي الذرى حميد الخصال
خف للوحي في نشاط وشوق	فلقـاء الأميـن خيـر وصـال
كيف يغفو والعرس ملء الروابي	وعـروس السمـاء ذات كمـال
أي نـور على الـوجـود تجلّى	فـإذا الكونُ آيـة من جمال!؟
يـا ليالي (حـراء) ألف سـلام	فلقـد كنت سلماً للمعـالي[1]

كيف يحتفلون بليلة القدر؟؟

قد اعتاد بعضُ المسلمين في كثيرٍ من البقاع الاحتفالَ بها بشكل مُزْرٍ ـ ويا للأسف ـ حتى إنهم يُحضرون فرقةَ المولويّة الراقصة لترقص في المساجدِ بيوتِ الله بصورة لولِبّيةٍ هستيرِيّةٍ وقد لبس فيها الشُّبَّانُ المردُ (الخراطات) النسائيةَ ووضعوا على رؤوسِهم الطواقي الإسطوانيةَ المضحكةَ، فيرقُصون بشكلٍ دوريٍّ ويدفعُ لهم المال أجرةً على هذه المهزلة، وكان الجديرُ بهم أن يُعاقَبوا ويُعَزَّروا حتى يُعلنوا توبتَهم..

والغريبُ من هذه الفرقةِ أنها بعدَ أن تُمَثِّل دورها الإجراميَّ في بيوت الله. تذهبُ إلى زواياها وتكاياها لِتُعيد هذه المهزلةَ على نغماتِ الناي أمام رجالِ السفاراتِ الأجنبيةِ وغيرها فيسخرون منهم[2].

وممّا يُؤْسَف لهُ أنّ هذه الفرقةَ تصوّر لهؤلاء الأجانبِ أن ما تفعلُه هو الإسلام، فتعطي صورةً سيئةً عنه.

وقد كنتُ كتبت مقالاً في صحيفة الأيّام الدمشقية بتاريخ: ١ رمضان ١٣٨٠ هـ تحت عنوان (ليلة القدر)، أُعِيدُ نشرَه هنا ليعلمَ القارىءُ عظيمَ قدر

---

(١) مجّلة «عالم السعودية» شعر الأستاذ جهاد جميل الجيوشي.

(٢) وإنا لنرجو من وزارة الأوقاف إبطالَ هذه العادةِ القبيحةِ، كما أبطلت مشكورة دُعاءَ نصف شعبان المشهور لما فيه من مخالفةٍ للقرآن.

هذه الليلة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ليلةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شهْرٍ﴾ مَن المُنَزِّلُ؟ اللَّهُ جلَّ شأنه.

ما هو الأمرُ العظيمُ الذي أنزله الإله العظيمُ؟

القرآنُ، أَجَلْ، القرآنُ العظيمُ.. فما أعظمَ ليلةَ القدرِ. وما أكثرَ بركتَها.

في هذه الليلةِ أنزلَ اللَّهُ ـ سبحانه ـ قرآنَه السماويَّ لأوّل مرة في تاريخ العالم ليكونَ للإنسانيةِ دستورَها التشريعيَّ والخُلُقيَّ الخالدَ، كما أنزل منذ بدء الخليقة قانونَه الطبيعيَّ أيضاً.

لقد جَرّب العربُ هذا الدستورَ الإلهيَّ، فجعل منهم خيرَ أُمّةٍ أُخرجت للناس: يأمرون بالمعروفِ بغيةَ إشاعةِ الخير والسلامِ على الأرض، وينهون عن المنكرِ بغيةَ محاربةِ الشرِّ والطغيان، ويؤمنون بالله، ويخلعون ما يعبُدون من دونِه من الأحجارِ والأشخاصِ فَخُلقت في نفوسِهم هذه المبادىءُ الساميةُ: الوحدةُ والعزةُ والسُّؤْدُد. فقضوا بسرعةٍ عجيبةٍ على إمبراطوريّتين من أعظم أمبراطوريات التاريخ القديم بعدما خَضَعوا لهما أحقاباً طويلة.

كما أَجْلَوْا اليهودَ من جزيرتهم العربيةِ، بعدما كانوا كالسَّرَطان يسري في جسومِهم ويفتك في نفوسهم، ويُثير الفتن بين قبائلهم لِيُبيدوا بعضَهم بعضاً، ويخلو لهم الجوُّ في بلادهم، وهذا رأيي الخاصُّ في كثير من حروب العرب. لعلّ المؤرخين يتحقّقون من ذلك بعد ما لمسوا المؤامراتِ اليهودية بعد إسلامِهم.

ثم ما لبث هؤلاء العربُ بعدما احتكموا إلى دستور القرآن أن انطلقوا في ميادين المعرفة والعظمة حتى غَدَوا أساتذةَ العالم في ساحاتِ العلمِ والاختراعِ والاكتشافِ، وأيْقظوا البشرية من سُباتِها العميق منذ مئاتِ القرون.

ليس هذا ادّعاءَنا، إنّما هي شهادةُ التاريخ شهد بها عُلَماءُ الغرب، فكان الحكمُ الإسلاميُ أعظَم وأسعدَ عصورِ التاريخ.

ثم أتى على الأُمة العربية حينٌ من الدهر غَفَلَتْ عن دستورها السماويِّ، فهوت من ذروةِ المجدِ والعظمة إلى حضيض الذُّلِّ والهوان، وتخّطفتها دولُ الغرب واستعمرتها ومزّقتها شرَّ ممزق حتى غدت كما وصفها شاعرها:

لم يَبْقَ من الـدُّنيـا بـأيـدينـا إلاّ بقيـةَ دَمْعٍ في مـآقِينـا
كُنّا قلادَة جِيدِ الدّهرِ فانفرطَت وفي يمينِ العُـلا كُنّا رَيـاحِينـا
فلم نَزَلْ وصروفُ الدهرِ ترمقُنا شَـزَراً وتخدَعُنـا الدُّنيـا وتُلْهِينَـا
حَتّى غَدَوْنَا ولا جاهٌ ولا نَشَبُ ولا صـديقٌ ولا خِلٌّ يُـواسِينـا

أما بعد.. لقد حَضَّنا رسولُ الله ﷺ على إحياء ليلة القدر لِنَعيش ذكرى نزولِ القرآن، ونُوَطّد العزم على تدبره والتمسك به بقوة، إذا كُنّا عازمين حقاً على إعادة قوتنا ووحدتنا.

٢١ ـ وداع رمضان

في «الصحيحين» من حديث أبي هُريرة رضِي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه، ومَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفيهما من حديث أبي هُـريرةَ رضي الله عنـه أيضاً عن النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم قال: «من قـام رمضان إيمـاناً واحتسـاباً غفـر لـه مـا تقـدم من ذنبـه».

وفي «المُسْنَد» و«صحيح ابن حبان» عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ صام رمضان فَعَرَفَ حدودَه وتحفّظ ممّا ينبغي له أن يحتفظ منه كفّر ذلك ما قبلَه» والجمهور على أنّ ذلك إنّما يكفر الصغائر.

ويدلُّ عليه ما أخرجه مسلمٌ من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الصلواتُ الخمسُ والجُمُعَةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضانَ مُكَفِّراتٌ لما بينهنّ ما اجْتُنبت الكبائر».

وَمَنْ أنقصَ من العمل الذي عليه، نقص من الأجر بحسب نقصِهِ، فلا يَلُمْ إلاّ نفسَه. قال سلمانُ: الصلاةُ مكيالٌ، فمن وفّى وُفِّيَ له ومن طفّف فقد علمتم ما قيلَ في المُطَفِّفين، فالصيامُ وسائر الأعمالِ على هذا المنوال مَنْ وفّاها فهو من خيارِ عبادِ الله المُوَفِّين ومن طَفّف فيها فويلٌ للمُطَفِّفين، أما يستحيي من يستوفي في مكيالَ شهواته، ويطفّ في مِكْيالِ صيامه وصلاتِه، ألاَ

بُعداً للمُدين، وفي الحديث: «أسوأُ الناس سرقةً الذي يسرقُ من صلاتِه»[1]، إذا كان الويلَ لمن طفّف مكيال الدنيا، فكيف حالُ من طفّف مكيالَ الدِّين. ﴿وَيْلٌ لِلْمُصَلِّين الّذينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهم سَاهُونَ﴾[2].

غَـداً تُوَفّى النفـوسُ ما كَسَبت وَيحْصُـدُ الزارِعـونُ مـا زَرَعـوا
فإنْ أَحْسَنوا فقد أَحْسَنُوا لأنْفُسِهم وإنْ أَسـاؤوا فَبِئْسَ ما صَنَعـوا

كان السلفُ الصالحُ يجتهدون في إتمام العمل وإكمالِهِ وإتقانِهِ ثم يهتمّون بعد ذلك بقُبوله، ويخافون من ردِّه. وهؤلاء الذين ﴿يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوْبُهُم وَجِلَةٌ﴾[3].

عن علي رضي الله عنه قال: كُونوا لِقَبول العملِ أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، أَلَم تسمعوا اللَّهَ عز وجل يقول: ﴿إنّما يتقبّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقين﴾[4].

وعن الحسن قال: إنّ الله جعل شهرَ رمضانَ مضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعتِهِ إلى مَرْضاتِهِ، فسبق قومٌ ففازوا، وتخلّف آخرون فخابوا، فالعَجَب من اللاعبِ الضاحكِ في اليوم الذي يفوز فيه المُحْسنون، ويَخْسَرُ فيه المبطلون.

لعلّك غضبـانٌ وقلبي غـافـلٌ سلامٌ على الدارَيْن إن كنتَ راضِياً

عن علي رضي الله عنه: أنّه كان ينادي في آخرِ ليلةٍ من شهر رمضان، يا ليت شِعْري من هذا المَقبولُ فَنُهَنِّيه؟ ومن هذا المحرومُ فَنُعَزِّيه؟.

وعن ابن مسعود أنه كان يقولُ: مَـنْ هذا المقبول منّا فَنُهَنِّيه؟ وَمَنْ هذا المحرومُ مِنّا فَنُعَزِّيه؟ أيّها المقبولُ هنيئاً لك، أيها المردودُ جَبَرَ اللَّهُ مصيبَتك.

ماذا فاتَ من خيرِ رمضان؟ وأيُّ شيءٍ أدرك من أدركَه فيه الحِرْمَان؟ كم

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبي قتادة، وهو حديثٌ صحيحٌ.
(٢) سورة الماعون: الآية ٤ ـ ٥. (٣) سورة المؤمن: الآية ٦٠.
(٤) سورة المائدة: الآية ٢٧.

بين مَنْ حَظُّهُ فيه القَبول والغفران، ومن كان حَظُّه فيه الخيبة والخسران. رُبَّ قائمٍ حظّه من قيامِهِ السهرُ، وصائمٍ حظّه من صيامهِ الجوعُ والعطشُ.

تَرَحَّل شهرُ الصبرِ وَالْهَفَاه والنورُ واختُصَّ بالفوز في الجنّاتِ من خَدَما
وأصْبَحَ الغافلُ المِسْكين مُنْكَسِراً مثلي فيا وَيْحَه، يا عظيـمَ ما حُرِمَا
مَنْ فاته الزرُع في وقت البِذَارِ فما تـراه يحصدُ إلاّ الهَمّ والنَّـدَما
طوبى لمن كانت التقوىٰ بضاعتَه في شهرهِ وبحبلِ الله مُعْتَصِمَـا

لما كانت المغفرةُ والعتقُ كلٌّ منهما مرتباً على صيام رمضان وقيامِهِ، أَمَرَ اللَّهُ سبحانه وتعالى عند إكمالِ العدّةِ بتكبيره وشُكرهِ فقال: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ ولِتُكَبِّروا اللَّهَ على ما هَدَاكُم وَلَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1] فَشَكَر من أنعم على عبادهِ بتوفيقِهم للصيام، وإعانتِهم عليه. ومغفرتهِ لهم به، وعِتْقِهم من النار، أن يذكروهُ ويشكروهُ ويَتَّقوهُ حقَّ تقاتِه.

وقد فَسّر ابنُ مسعود رضي الله عنه تقواه حقّ تقاتِه: بأن يُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر، فيا أربابَ الذنوبِ العظيمة، الغنيمةَ في هذه الأيام الكريمة، فما منها عِوَضٌ ولا لها قيمة، فمن يُعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزةِ العظيمةِ والمنحة الجسيمةِ.

يا من أعتقه مولاه من النار إياكَ أن تعودَ بعد أَنْ صِرْتَ حُرّاً إلى رقّ الأوزار، أَيُبعدك مولاك من النار وأنت تتقرّب منها؟ ويُنقذك منها وأنت تُوقع نفسك فيها، ولا تحيد عنها؟.

إن كانت الرحمةُ للمحسنين، فالمسيءُ لا ييأس منها، وإن تكن المغفرةُ مكتوبةً للمتّقين، فالظالمُ لنفسه غيرُ محجوب عنها.

ينبغي لمن يرجو العتقَ من النار في شهر رمضان، أن يأتي بأسبابٍ توجِبُ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

العتقَ من النار، وهي متيسّرة في هذا الشهر.

وكان أبو قِلَابة يعتقُ في آخر الشهر جاريةً حسناء مُزَيَّنةً، يرجو بعتقِها العتقَ من النار.

ليس السعيدُ الذي دُنياه تُسْعِدُهُ   إنّ السعيدَ الذي يَنْجو مِنَ النارِ

عبادَ الله: إنّ شهرَ رمضان قد عَزَمَ على الرحيل، ولم يبق منه إلّا القليل، فمن كان فيكم أحسنَ فيه فعليه بالتمام، ومن كان فَرّط فَلْيختِمْه بالحسُنى فالعملُ بالختام، فاسْتَغْنِموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيّام، واستودعوه عملاً صالحاً يشهدُ لكم به عند الملك العلّام، وَوَدِّعوه عند فراقِه بأزكى تحيةٍ وسلام.

سَلامٌ من الرحمٰن كُلَّ أوانِ   على خيرِ شهرٍ قد مضى وَزَمانِ
سلامٌ على شهر الصِّيامِ فإنّه   أمانٌ من الرحمٰن أيُّ أمانِ
لَئن فنيت أيامُك الغُرُّ بغتةً   فما الحزنُ من قلبي عليك بفانِ

لقد ذهبت أيامُه وما أطعتم، وَكَبَتْ عليكم فيه آثامهُ وما صَنَعتم، وكأنكم بالمشمِّرين فيه وقد وصلوا وانقطعتم، أترى ما هذا التوبيخُ، أترى ما هذا التوبيخُ لكم؟.

قلوبُ المُتَّقين إلى هذا الشهر تَحِنُّ، ومن أَلَمِ فراقهِ تَئِنُّ.

دَهَاك الفِراقُ فَمَا تصنعُ   أتصبرُ للبَيْنِ أم تجزعُ
إذا كنتَ تُبكي وهم جيرةٌ   فكيف تكون إذَا وَدَّعوا؟

كيف لا تجري للمؤمن على فراقِهِ دموعٌ، وهو لا يدري هل بقي له في عُمرهِ إليه رجوعٌ؟.

تَذَكَّرْت أياماً مضت وَلَياليا   خَلَت فَجَرَتْ من ذكرِهنّ دموعُ
أَلَا هلْ لها يوماً من الدهرِ عودةً   وهلَ لي إلى يوم الوصالِ رجوعُ

وهل بعدَ إعراضِ الحبيبِ تواصُلٌ وهل لبُدورٍ قد أَفَلْنَ طلوعُ

أينَ حَرَقُ المجتهدين في نهارِهِ؟ أين قَلَقُ المُتَهَجِّدين في أسحارِهِ، إذا كان هذا مَنْ رَبِحَ فيه فكيف حالُ مَنْ خَسِرَ في أيامهِ ولياليهِ؟.

ماذا ينفعُ المُفَرِّط فيه بكاؤهُ وقد عَظُمت فيه مصيبته، وجلَّ عزاؤهُ؟ كم نُصح المسكينُ فَمَا قبل النُّصْحَ، كم دُعي إلى المصالحةِ فما أجاب إلى الصُّلح، كم شاهد الواصلين فيه وهُو متباعِدٌ، كم مَرّت به زُمَرُ السائرين وهو قاعدٌ، حتى إذا ضاق به الوقتُ وحاق به المَقْت، ندم على التفريطِ حين لا ينفعُ الندم، وطلب الاستدراكَ في وقتِ العدم.

أَتَتْرُكُ من تُحِبُّ وأنتَ جارٌ؟ وتطلُبُهم وقد بَعُدَ المَزارُ
وتَبْكي بعدَ نَأْيِهِمُ اشْتياقاً وتَسأَلُ في المنازلِ أينَ ساروا
تَركْتَ سؤالَهمْ وهُمُ حضورُ وتَرْجو أن تُخَبِّرَكَ الديارُ
فَنَفْسَك لُمْ ولا تَلُم المطايا وَمُت كَمَدًا فليس لك اعْتِذارُ

يا شهرُ رمضانَ ترفّق، دموعُ المحبين تدفّق، قلوبُهُم من ألم الفراق تشقّق، عسى وقفةُ الوداع تطفيءُ من نار الشوق ما أحرقَ، عسى ساعةُ توبةٍ وإقلاعٍ ترقعُ من الصيام ما تخرّق، عسى منقطعٌ عن الركب المقبولينَ يَلحَق، عسى أسيرُ الأوزار يُطْلَق، عسى مَن استوجب النار يُعتق.

عسى وعسى مِنْ قَبْلِ يوم التفرُّقِ إلى كل ما نرجو منَ الخَيْر نَرْتَقي
فَيُجْبَرُ مكسورٌ ويُقْبَلُ تائبٌ ويُعتق خَطَّاءٌ ويُسْعَدُ من شَقِي[1]

---

(١) اختصار من كتاب «بغية الإنسان في وظائف رمضان» للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى.

٢٢ ـ زكاةِ الفطر

حكمتُها:

تكشفُ التعاليمُ الدينيةُ والصحيةُ والفرائضُ التي فَرَضَها الدينُ على تربيةٍ دقيقةٍ لنفس الإنسان حتى أصبحت ساميةً في تصرُّفاتِها وسلوكها،عاليةً في آفاقٍ روحيةٍ ساميةٍ. وللزكاة تطهيرٌ لمالِ الإنسانِ دافعةٌ إلى الإحسان والمحبة والرأفة بالفقراء جاعلة بين الغني والفقير حَبْلَ مودةٍ رابطةٍ بين حياتهما بعروة وثيقة ناهضة بالمادية إلى عالم النفس، ولو أن الزكاةَ مادةٌ إلاّ أنّها تعلو وتُطَهِّر الخَلْقَ بأدائها فتتحوّل إلى سلوك نفسيٍّ غريزيٍّ في الإنسان لعمل الخير.

والصومُ يهدفُ في أُسَسِهِ السليمةِ الصحيحةِ وفي قواعده الصافية إلى حرمان النفس من المادة حرماناً تجريبياً عملياً يستطيع فيه الغني أن يعيشَ مع الفقير فتراتٍ متواليةً من الزمن فيعرف لا باللفظ وإنما بالعمل والمجاهدةِ والرياضةِ أَلَمَ الحرمان وما يعيش فيه الفقيرُ والمسكينُ والمحرومُ.

والصيامُ في رمضانَ على هذه الصورةِ يُحَبِّبُ إلى النفس طريقَ الإحسانِ فكلّما تقدّم به الزمنُ واتّخذت المجالدة والترويض والمران العملي سبيلاً في نفس الإنسان، ولمس لمساً صحيحاً صائباً على مَرِّ الأيام ما فقده من لذّة وما نقص من استمتاع عَلَتْ نفسُهُ فَيُقبل على مشاركةِ هؤلاء المحرومين معه في طعامهِ وشرابهِ.

والنفسُ وصيامُها التي تعوّدت البرّ والإحسانَ على هذه الصورة العملية

التدريبية لم يتركها الدينُ حُرَّةً في أداء طاقة الإحسان فقد فرض عليها فرضاً لازماً واجب الأداء أن تُخرج من مالها مقداراً معيناً للفقراء والمساكين والمحرومين كيلا يكونَ التدريبُ اختيارياً، وإنّما يصبحُ ضرورةً واجبةً، وفي ذلك حكمةٌ ما بعدها حكمةٌ، لأنّ الصيامَ سينتهي بالجزاء الحَسَن والفَرحةِ العامةِ فكيف يستطيعُ الدِّينِ أن يتركَ الفقيرَ محروماً معدماً والفرحةُ قد أقبلت وميعادُها قد قَرُب فلا تكونَ للغنيِّ دون الفقير بل يجبُ أن تَعُمَّ الناس جميعاً.

ففي زكاةِ الفطر مشاركةٌ وجدانيةٌ لإحساس عامٍّ يدلُّ على أن المسلمين سيتقبّلون موعداً ولقاءً تهتفُ به النفسُ، وفي هذا اللقاءِ يجبُ أن نَنسى الحرمانَ وأعباءَ الدهر، ولا يكون ذلك إلا بالتخفيف بين المسلمين غنيِّهم وفقيرهم فجاءت زكاةُ الفطر حكمةً مادية تتحوّل إلى أُفُق روحي يشعر فيه الجميعُ بالوحدة والفرحة الموحّدة بينهم جميعاً، ولا حاقدٌ ولا حاسدٌ ولا كاظمٌ غيظاً[1].

بعضُ الأحاديثِ الواردة فِي زكاة الفطر:

١ ـ روى البخاريُّ ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: «فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفطرِ من رمضان صاعاً[2] من تمر أو صاعاً من شعير، على العبد والحُرِّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين وَأَمَر أنْ تُؤَدّى قبلَ خروج الناس للصلاة».

وقد حضّ الشارعُ على تأخيرها ليستفيدَ بها الفقيرُ في أيام العيد.

٢ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال: كنا نُخرج زكاةَ الفطر صاعاً من طعام

---

(١) كتاب «الصوم والنفس» بقلم الدكتور أمين مصطفى عفيفي عبدالله ص ١١٨ ـ ١٢١ بقليل من التصرف والاختصار.

(٢) الصاع أربعة أمداد. والمُدْ حفنة تكفي الرجل المعتدل المسكين، وتساوي قدحاً وثلثَ قدحٍ أو قدحين.

أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أَقطِ[1]، أو صاعاً من زبيبٍ. متفق عليه.

٣ ـ روى أبو داود، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرةً[2] للصائم من اللَّغْوِ[3] والرفثِ[4]، وطُعمةً للمساكين». إسناده جيد.

---

(١) لبن مجفّف لم تُنزع زبدته.

(٢) تطهيراً.

(٣) هو ما لا فائدة له من القول أو الفعل.

(٤) الرّفث: فاحش الكلام.

٢٣ ـ صلاة العيد في المُصَلّى

لم يُعرف أنّ الرسولَ ﷺ صلّاها في المسجد ولا مرةً واحدةً في حياتهِ العريضةِ العظيمةِ الطافحةِ بالأمجادِ والبطولاتِ.

في هذه الصلاةِ يخرجُ المسلمون إلى الصحراء إلى الفضاءِ الواسع لأدائها رجالاً ونساءً وأطفالاً في تظاهرةٍ كبيرةٍ قويةٍ لِيُثْبِتوا وجودَهم في أسمى وأعظمِ معانيه فلا تحدُّهم حدودٌ، ولا تحصرهُم جدرانُ المسجدِ الأربعَةُ.

في هذه الصلاةِ في المُصَلّى يشعر المسلمون بأنّ فيهم قوةً لا تتناهى يعرضُ فيها جمالُ نظامهم الإسلاميِّ.

وليست هذه الصلاة في المصلى إلّا لتعلّم الأُمة كيف تتّسع روحُ الجوار وتمتدّ حتى يرجعَ البلدُ العظيم ويلتقي وكأنّه لأَهلهِ دارٌ واحدةٌ يتحقّق فيها الإخاءُ بمعناه العمليِّ وكأنما المسلمون أسرةٌ واحدةٌ.

وليست هذه الصلاةُ في المُصَلّى إلا اظهاراً للذاتيةِ العظيمةِ للمسلمين تهتفُ بهم بقوة أنِ اخْرُجُوا إلى صلاتكم يومين «في عيد الفطر وعيد الأضحى» كأيام التعبئةِ العامةِ وأيام النَّصْر.

ليست الصلاةُ في المَصَلّى إلّا ابرازاً لشخصية الأُمة الإسلامية في كُتلةٍ واحدةٍ متراصّةٍ فيلتقي الرجالُ والنساءُ والأطفالُ كأنهم زاحفون للمعركة.

وإذا كانت صلاةُ الجمعة فُرضت في الأُسبوع مرةً واحدةً في المسجد

فذلك تهيئةً للمسلمين لِلِقَاءٍ عام في المُصَلّى، وقد جعلت صلاة العيد في المُصَلّى كيلا يغفلَ المسلمون عن وحدتهم الكبرى فَتُنْسيهم صلاةُ الجماعة كل يوم، وصلاةُ الجمعة كل أسبوع وحدتَهم العامة التي تتجلّى بصورة مصغّرة مكبّرة في المُصَلّى وفي الحَجّ.

ولا يكادون يجتمعون ويُكَبّرون ويُصَلّون مُرَدِّدِينَ: اللَّهُ أكبرُ، اللَّهُ أكبرُ، حتى يقومَ فيهم الخطيبُ داعياً ومرشداً ومنذراً فيشعر الناس معنى القائد الحربي للشعب كله، بل للأمة كلها.

ولكنّ أغلبَ خطباء المساجد اليوم بعيدون عن الخُطَّة التي رسمها الإسلام (ألا ليتَ المنابر الإسلامية لا يخطُب عليها إلاّ رجالٌ فيهم أرواحُ المدافع، لا رجالٌ في أيديهم سيوفٌ من خَشَب)[1].

وأيضاً.. العيد:

لمّا خَلاَ من العيد ثمارُهُ، وذهبت بهجتُهُ وأنوارُهُ، قال أديبٌ[2]:

قل لي أيَّ شيء هو العيدُ.. إن لم يكن هو الشعورَ بالحياة؟!.

قل لي أيَّ شيء هو العيدُ. إن لم يكن هو إحساساً بالمسؤولية؟.

قل لي أيَّ شيء تَعْنيه أعيادُنا.. إن لم يكن ذلك الشيءُ إدخالَ الفرحةِ على قلبٍ حزينٍ.. إعادةَ البسمةِ لِشَفَةٍ لا بسمةَ بها.. سَلَّ الضغائن والأحقاد من قلوبِ الناس. مدَّ يد الأخوة.. الحبَّ.. الصفاءَ.. إلىٰ كل الناس!؟.

العيدُ.. لم يكن مظهراً نحتفي به.. لم يكن أياماً نقتلُها ابتساماً وشِبَعاً.. وإسرافاً في اقتناءِ الحُلَل الجميلة المزركشةِ..

---

(١) هذه العبارة الأخيرة للأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى من (وحي القلم ٣١) وقد اقتبستُ بعض عباراته من مقال المعنى السياسي في العيد. ولا يصحُّ في حمل الخطيب للسيف حديث!.

(٢) عن كتاب «فلسفة المجانين» لسعدي البواردي.

العيدُ.. لم يكن دلالةً على موائدَ تُمدَّ هنا.. وهناك.. لِتُتْخَمَ منها بطونٌ يوماً أو يومين.. ثم تختفي تلك الموائدُ.. لأنّ إسرافَ العطاءِ.. ولأنَّ إسراف البذلِ لا يَفِدُ إلا مع نشوةِ العيدِ.. وأفراحِ العيدِ.. وزغردة العيدِ..

العيدُ.. إن لم يكن مَنْبَعاً للرحمة.. مَرْتَعاً للخَصْبِ والخيرِ في أخلاق الناس.. في طِبَاعِهم.. في علاقاتِهم البعضَ للبعض.. فماذا سيكونُه العيدُ حين تُطوى عليه جوانحُنا إشفاقاً.. ولهفةً.. ووداعاً!؟.

أعيادنا تمرُّ.. وتمرُّ معها مآسينا.. تمرُّ معها طِباعُنا.. يمرُّ معها شُحُّنا.. قحطُنا.. بخسُنا لحقوق بعضِنا البعض.. ثم لا ننسى في صفاقةٍ وخُيَلاءَ أن نُخادِعَ أنفسنا.. نُخادِعَ غيرنا بأننا كُنَّا في عيد..

الجيوبُ الخاويةُ التي تضجُّ فقراً وإملاقاً نَدَعُها فريسةً لفقرها وإملاقها.. الجيوبُ الخاويةُ التي تتحدّث عن ذكرياتٍ مُرَّةٍ حزينةٍ نَدَعُها كما هي لذكرياتها.. لمرارتها.. ولحزنها..
الدموعُ التي تُذْرَفُ تظلماً وتوجُّعاً.. هي نفسُها الدموعُ التي لا يُكَفْكِفُها عيدٌ، ولا يُنقذها عيدٌ من تظلُّمِها وتوجُّعِها...

النفوسُ المريضةُ التي تنبشُ الضغائنَ.. وتَبْني الأحقاد.. لا يُهَذِّبُها عيدُ حلَّ.. ولا عيدٌ رحلَ.. ولا عيدٌ منتظَر.. وكأنَّما كان فهمُنا للعيد انطلاقاً من ربقةِ المسؤوليةِ.. انطلاقاً من الوعيِ الذي يُحَدِّد المفاهيم. ويُصَحِّح الأوضاع..

أيُّ عيد يا أخي نحتفي به.. ونستقبلُه.. ونرتمي في أحضانه..؟!.

إنّ فينا من لا يملكُ فرحةَ العيد.. لأنّ وحشيتَنا. ولأنّ قسوةَ الأيام جَرَّدَتْه من كُلِّ شيء.. إلّا من الألم والتوجُّع..

إنَّ فينا من تُظَلِّلُهُ كآبةُ اليُتمْ.. وسحابةُ الخشية والخوف.. فلا يرى في

عيد حلّ إلا فتراتٍ قاسيةً تُباعِدُ بينه وبين واقع غيره.

إنّ فينا من تَلَقَّفَتْهم الأكواخُ والمغاراتُ الجَبَلِيّة حين لم يجدوا مَلاَذاً وسَكَناً. فينا اللاجئون ممَّن يعيشون على ذكريات الماضي البعيد في انتظار العودةِ. يُصارعون في تشرُّدهم غضبةَ الرياحِ المسعورةِ. هزَّة الأحداثِ الدّامية.. البردَ.. القائظةَ. الجوعَ. العُرْيَ. وأشباحَ الموتِ وهي تملأُ آفـاقَ دنياهم أينما توجّهت أنظارُهم..

أين هؤلاء الإخوةُ اللاجئون من أعيادنا التي نَقْضيها. ونحن نتغنّى بلذّة العيد وبمتعة العيدِ.

إنّ فينا من تمضي أيامُ أعيادِهم وهم مع المنيّةِ على لقاء.. مع الكفاح على موعدٍ.. فحين تدقّ طبولُنا نشوةً بلقاء العيد.. ترقُص أجسادُهم وتتساقطُ على مذبحِ الحريةِ والحياةِ. لأنّ العيدَ كما عرفوه.. شعورٌ بالحياة.. إحساسٌ بالمسؤولية.. بذلٌ وعطاءٌ. بناءٌ. واستجابةٌ.. ثم.. ونحن هنا نحتفي بالعيد.. هل نجدُ لدينا عيداً نحتفي به؟.

لقد ساءَلْتُ نفسي: هل وجدتِ عيداً..؟ فأجابَتْني بكلمة ممطوطةٍ طويلةٍ: لا..

إنّ أعيادَنا كَسَل.. مَلَل.. ونومٌ لا ينقطعُ.. بحثٌ عن أفراح لم توجد.. لأنّ أعيادَنا لم توجد..

كُلّ ما نكسبهُ من أيام العيد هو أننا نشبعُ نوماً.. نُتْخَم من الإغراق في السّبات الطويل.. فهل هذا في نَظَر الأعيادِ كسبٌ يجب أن نُعْلِنَه في فخر ونتحدّث عنه؟.

إن أعياداً لا تهَبُ إلاّ المَلَل. إلاّ الكَسَل. وإلاّ الإغْرَاقَ في نوم طويل هي نفسُها الأعيادُ التي لا تُكَفْكِفُ دمعاً.. لا تُبرىء جراحاً.. لا تردُّ ظلامةً.. لا

تَدْفِنُ حقداً أو كراهيةً . . لا تشيعُ بين الناس روحَ المحبةِ والأخوةِ، والأُلفة . .
هي نفسُها الأعيادُ التي تَمُرُّ بنا كلَّ عام . . أو نمرُّ بها . . ولكنَّنا لا نتّفق معها على هدفٍ أو معنى . . لأننا لم نعرفْ بعد معنى الأعيـادِ . . في قامـوسِ الحياة الحيِّ .

بعضُ الأحاديثِ الصحيحةِ الدالّةِ على مُواظَبة الرسول على صلاةِ العيدِ في المُصَلّى:

الحديثُ الأول: عن أبي سعيد الخُدْري قال: «كان رسولُ الله ﷺ يخرُجُ يومَ الفطر والأضحى إلى المُصَلّى . . ولم يزل الناس على ذلك» الحديثُ. رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الحديث الثاني: عن عبدالله بن عُمَر رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله ﷺ يَغْدو إلى المُصَلّى في يـومِ العيـدِ» الحديث. رواه البخـاري ومسلم وغيرهما.

الحديثُ الثالثُ: «خَرَجَ النبيُّ ﷺ يومَ أضحى إلى البقيعِ (وفي رواية: إلى المصلى) فصلَّى ركعتين» الحديث. رواهُ البخاري وأحمد.

وَبِسُنِّيَّةِ صلاة العيدين في المصلى قال جمهورُ العلماء، وقال الإمـامُ النَووي في «شرح مسلم» عند الكلام على الحديث الأول: «وهذا دليلٌ لمن قال باستحبابِ الخروج لصلاة العيد إلى المصلى وأنّه أفضلُ من فعلها في المسجدِ وعلى هذا عَمَلُ الناس في معظمِ الأمصار». وهكذا قال الإمام البَغَوي في «شرح السنة».

وقد هَجَر أكثرُ المسلمين هذه السُّنَّةَ، والتَّبِعَةُ في ذلك على عُلمائِهم وأئمتِهم. فما أعظمَ الخسارةَ[1].

---

(١) ولشيخنا الألباني رسالة «صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنة» فلتراجع.

الخاتمة

* ما معنى شهادة أنْ: لا إله إلا الله:

ما أكثرَ ما يُرَدِّدُ المسلمونَ شهادة لا إله إلا الله، وبخاصّة في رمضان، فهي أفضلُ الذِّكْرِ فقد جاء في الحديثِ الصحيحِ: «أفضلُ الدعاء يومَ عرفة، وأفضَلُ ما قلتُ أنا والنبيُّونَ من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

ولكنْ ما معنى هذه الشهادةِ التي لا تنفعُ قائلَها إلّا إذا عرف هذا المعنى؟.

إنني أستطيع أن أقولَ جازماً ـ والحسرةُ تملأُ قلبي ـ إن ٩٩٪ من المسلمين ـ حتى أدعياءِ العلم منهم ـ لا يعرفون معناها. وأكثرُهُم يُعَرِّفُها بقوله: «لا ربَّ ولا خالق ولا مُحيي ولا مميت، ولا رازق. إلا الله» وهذا خطأٌ فاحشٌ، وقد كانوا في الجاهلية يعتقدون هذا المعنى، ولكنهم بَقَوْا كُفّاراً مشركين، وحاربهم الرسولُ ﷺ واستباح دماءهم وأموالَهم.

قال سبحانه في وصفهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؟ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

أجل كان المشركون في الجاهلية يعتقدون كلَّ ذلك، ولكنهم كانوا يتخذون لله الوسائطَ فقد كانوا يقولُون كما جاء ذِكْرُهُم في القرآن: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبونا إلىٰ اللّهِ زُلْفَىٰ﴾. المعنى: ما نعبدُهُم أي ما ندعوهم ونستغيثُ بهم ونذبحُ وننذرُ لهم إلا ليقرّبونا إلى الله، فهم وسائطُ فقط. وهذا ما يفعله ـ

ويا للأسف ـ كثيرٌ من المسلمين مع قبورِ الأنبياءِ والأولياءِ، فنراهم على الرُّغم من صلاتهم وصومِهم وحَجِّهم لله، يرتمون على أعتابهم ويتمرَّغون بترابهم ويسألونهم حاجاتِهم ويستغيثون بهم، وينذرون ويـذبحون لهم على مشهـدٍ وعلمٍ من عُلَماء السوء الذين لا يُنكرون عليهم، بل ينكرون على من يُنكر عليهم. . وكل ذلك شركٌ والعياذُ بالله.

وممّا يُؤْسَف له ويبعثُ في النفس الأسى والحسرةَ، أنّ هؤلاء المشركين، ما كانوا يَتَّخذون للّهِ الوسائطَ إلاّ في حال الرخاء أما في حال الشدّةِ، فكانوا يلجؤون إلى الله تعالى وحدَه في دعائهم. قال الله تعالى في وصفهم: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ، دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَىٰ البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾[1].

كلُّ ذلك بخلافِ أدعياءِ الإسلام اليومَ. فهم في حالِ نزولِ الشدّةِ بهم، يَلْجؤون لغيرِ اللّهِ سبحانه ويستغيثون به وينذرون له.

وهناك فرقٌ آخرُ أيضاً وهو أنّ الوسائطَ التي كان المشركون في الجاهلية يتّخذونهم من أكابر الأولياءِ الصالحين وهم اللاتُ والعُزّى وَمناةُ وغيرهم.

كلُّ ذلك بخلاف أدعياءِ الإسلامِ في العصور المتأخرة، فإن وسائطَهم من الكَفَرة أدعياءُ وحدةِ الوجودِ والاتّحاد ويُطْلقون عليهم: «الشيخ الأكبر» و«سلطان العاشقين»!.

إنّ معنى لا إله إلا الله: أي لا معبودَ بحقٍّ إلا الله.

والعبادةُ: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّ الله تعالى ويرضاه.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

فمن جعل شيئاً من العبادةِ لغير الله فهو مشركٌ، وذلك كالسجودِ والدعاءِ والذبحِ والنذرِ، وكذلك التوكُّلُ والخوفُ والرجاءُ والحَلِفُ، والاستغاثةُ والتعظيمُ والخشيةُ والحكُم.. فإنّها كُلَّها من العباداتِ كالصلاةِ والصومِ والحَجِّ..

قال اللّهُ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾[1] فالذبحُ كالصلاةِ ولا يجوزُ إلّا لله وحدَه.

هذا آخرُ ما أردتُ كتابته في هذه الرسالِة النافعةِ إن شاءَ الله، عسى أن أكونَ قد قرّبت للإخوة الأفاضل من القرّاء فقهَ الصيامِ وأحكامه، والحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتمّ الصالحات.

---

(١) سورة الكوثر: الآية ٢.

الفهرس